عبد السلام البسيوني
aalbasuni@hotmail.com

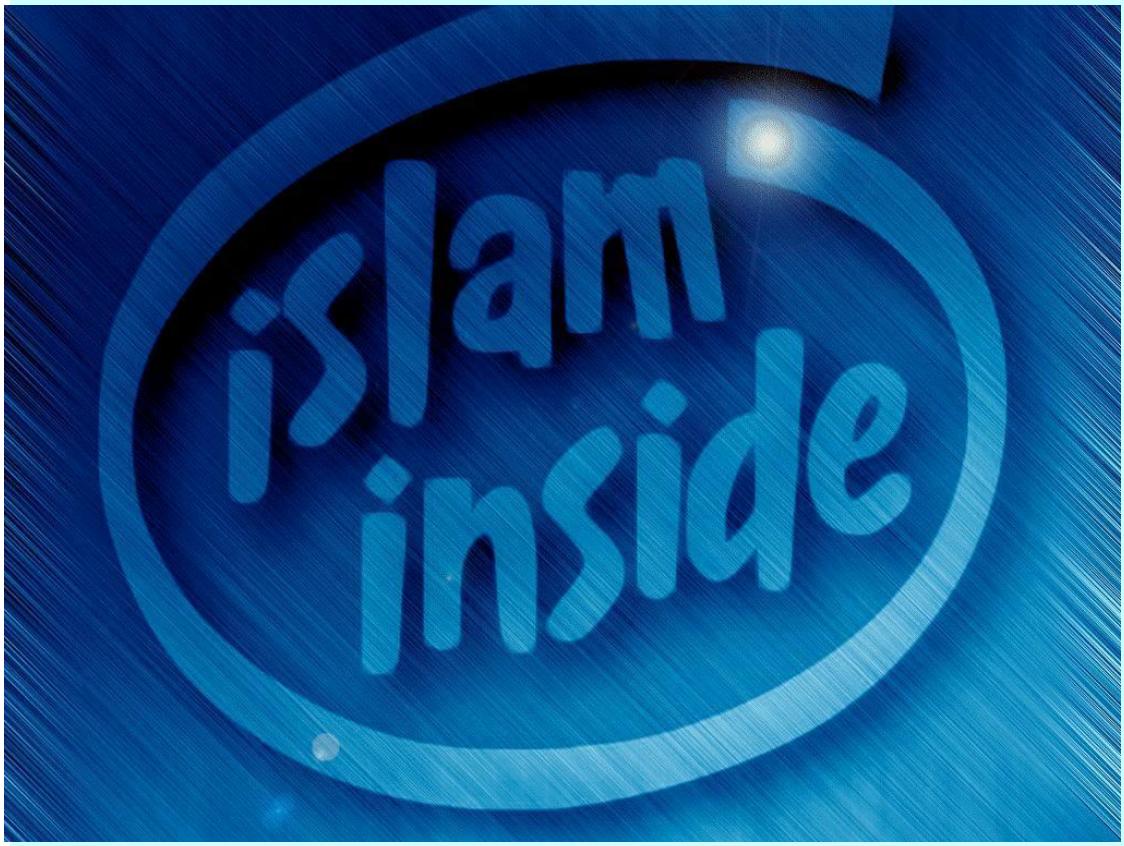

قراءة في السلفية المعاصرة

آه من جلَد الفاجر، وعجز الثقة

إهداء

إلى فضيلة العلامة محمد المختار الشنقيطي عليه رحمات الله ورضوانه

وإلى الداعية السلفي المتوازن اليقظ الشيخ الحبيب

محمد بن إسماعيل المقدم

وإلى كل داعية نبيه يقظ.. يعرف دينه، ويعيش عصره

وردّا على القاصرين ضيقي العطن المسيئين لمعنى السلفية الصحيحة

رب اشرح لي صدري، ويسر لي أمري، واحلل عقدة من لساني

رب اجعل نوايانا خالصة، وعملنا سديدًا

ونفوسنا منصفة من نفوسنا، قبل أن تلوم الآخرين

واجعل هذه الكلمات مما ينفع الناس، ويمكث في الأرض

اللهم آمين

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيد خلق الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

هذه ورقات في الدعوة، كتبتها قبل أكثر من عشر سنين، أطللت بها على الطرح السلفي المعاصر، وكيف هو في شكله المتزن الرشيد، وكيف يتصرف بعض إخوتي السلفيين بعيدًا عن المفهوم الصحيح للسلفية، وعن التطبيقات الراشدة التي عاشها – فهمًا وسلوكًا – سلفنا الصالح رضوان الله عليهم، وكيف انقسمت السلفية سلفيات تصل أحيانًا إلى حدود الغلو الشديد، والتكفير المتقنع بقناع السلفية، ظلمًا لهذا المصطلح الشريف وزورًا، وكيف أُتي المنهج من قِبل هذه السلوكيات، ووُظف خطايا السلوك ضد الإسلام كله، وكيف استفادت بعض التيارات الإقصائية من سلوكيات وطروح بعض السلفيات في الانقضاض عليها، وتقبيحها، والنكاية بها.

وأنا على يقين أن هذه الطروح ستغضب بعضًا، وتُشمت بعضًا، لكن الحق يعلو ولا يعلى، وأجزم أن الترشيد ضرورة، وأن النصح دين لأئمة المسلمين وعامتهم.

وأسأله تعالى أن يصفي النية، ويحرر القصد من الهوى، ويجعل هذه الكلمات خالصة لوجه الله الكريم.

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

عبد السلام البسيوني

غرة محرم الحرام 1433

كتبت أغلبية مادة هذا الكتب من نحو عشر سنين، قبل تمادي (العك) السلفي، المتمثل في السلوكيات المراهقة لبعض قليلي الخبرة من السلفيين، سيئي التقدير للمرحلة الدقيقة التي تمر بها الأمة!

غفر الله لهم، ورزقهم البصيرة

السلفية (الملْطَشة)

بين تفرق الأبناء، وخطل الأدعياء، وكلَب الأعداء

هي – في زعمي – كلمة منيرة شريفة عظيمة؛ لكنها متهمة مظلومة، مغموصة، يشير إليها بالتقبيح والاستهجان إسلاميون مختلفو النسبة!

وعلمانيون مختلفو اللافتة!

ورسميون مختلفو المهمات!

شرقيون وغربيون!

ومن يفهمون ومن يجهلون!

صارت السلفية (ملطشة، وحيطة واطية) يتسوّرها أصحاب الأهواء؛ لينالوا من الإسلام؛ من خلال تحويلها إلى ممثل أصيل عن الجمود، وبلادة الذهن، وسوء فهم الإسلام، والفهم السطحي، والفقه الظاهري!

حولوها إلى كلمة متهمة مرفوضة؛ كما فعلوا مع ألفاظ عليا، مثل الأصولية والجهاد والوهابية والسنة وغيرها!

وهي نسبة شريفة؛ لأنها تتشرف برسول الله صلى الله عليه وسلم، وبصحابته الكرام المباركين، وآل بيته الغر الميامين، وتابعيه من القرون الثلاثة الأولى الفاضلة، ثم

بمن تلقتهم الأمة بالقبول من الموقعين عن رب العالمين، كالبخاري، وابن تيمية، وابن القيم، والذهبي، والسيوطي، والشوكاني، وغيرهم.

لكن لو ظلمها شانئوها ومقاوموها فإن كثيرًا من المنتسبة لها يسيؤون، ويظلمون، ويشوهون هذه الدلالة الشريفة العظيمة، بحسن نية، وكثير من الغفلة والاجتراء، والجنوح عن مقتضيات اللفظة؛ وإن زعموا أنهم أفهم لها من ابن تيمية والذهبي وابن عبد الوهاب والشنقيطي وابن باز!

وأجدني في هذا المقام مضطرًّا أن أقول بحبي للسلفية وتأثري برموزها، وهو ما لا أقول عادة – بحكم كوني أحب المسلمين جميعا، وأتعامل معهم جميعًا؛ إذا كانوا في إطار أهل السنة والجماعة، وبحكم كوني أكره اللافتات وأرفضها؛ لأنها ما زادت العمل الإسلامي إلا انقسامًا على انقسام، ومشاكل بعد مشاكل، وبحكم كون المشايخ العظام الذين شرفني الله تعالى بالجلوس إليهم – بعد دراستي في الأزهر الشريف – من أمثال المختار الشنقيطي والجزائري وعبد المحسن العباد ومحمد الوائلي والغنيمان ومحمود ميرة وغيرهم – وهم من علماء السلفية المعاصرة – علموني منهجا رشيدًا سديدًا أرى الكثيرين يتنكبونه؛ رغم ضخامة دعواهم السلفية، واحتكارهم بلسان الحال إياها! ثم كانت القراءات، والتطبيق، والممارسة الدعوية الطويلة والمتنوعة، تتويجًا لما تعلمته منهم رضي الله عنهم، وجزاهم عنا ألف خير.

وأحمد الله تعالى على ما علم وأكرم وهدى..

وأسأله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يرحمهم، ويحسن إليهم، وأن يختم لنا ولهم بالصالحات، وأن يحسن عاقبتنا في الأمور كلها..

وأرجو من قارئي الكريم أن يصبر على قراءة (عريضة دعواي) هذه، فإن وجد فيها ما يستقيم شرعًا، وعقلًا، وواقعًا، فلله تعالى الفضل والمنة، وإلا فله العتبى، وله الرد والتصويب، المسبوقان بالعفو والمسامحة.

ما هي السلفية؟

هي – في فهمي القاصر– منهج علمي وعملي، يترسم سبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسادات القرون الفاضلة، في الاعتقاد، ومناهج التعلم والسلوك والبلاغ، فهي تُعنى بمصادر العلم الشرعي/ ووسائل تلقيها/ ومناهج تطبيقها/ وإبلاغها..

وتتحرى اتباع، وتطبيق، ما يتلقاه من علم السلف، وسلوكهم واقعًا حيًّا، ونمطًا سلوكيًّا، وتجتهد في تنزيل هذه القواعد على الواقع المعيش، ما وسعها التطبيق.

ولهذا المنهج علماء مرتضون، طيب الله – في الجملة – سيرهم، وزرع في الأرض حبهم كالشنقيطيَّين، وابن باز، وابن عثيمين، وبكر أبو زيد، والعباد، والجزائري، والألباني، وعبد الرحمن الوكيل، وأحمد شاكر، والفقي، وجميل غازي، وصفوت نور الدين، ومن جيل الشباب التالي الشيخ الحبيب محمد بن إسماعيل (وبعض) أبناء جيله من المدرسة السلفية، ثم أمثال محمد حسان ومحمد يعقوب من الجيل التالي.

مساحات الزمان الثلاث:

وإذا كانت مساحات الزمان ثلاثًا: هي الماضي والحاضر والمستقبل، فإن المسلم يعيش هذه المساحات كلها في آنٍ واحد، لا يستطيع أن يتجاهل إحداها، وإلا كان أداؤه منقوصًا مبتورًا:

فهو يعيش الماضي، حلوه ومره، بتمثلِه هديَ رسول الله صلى الله عليه وسلم والراشدين وسادات القرون الأولى؛ يستلهم سيرهم، ويتفهم منهجهم، ويستوعب طرائقهم، ويفيد من مناهجهم، تنزيلا على واقعه، وقياسًا في مفاهيمه.

ولا يحق لأحد – كائنًا من كان – أن يقول إنه لا صلة له بهؤلاء، وإنهم عصر ونحن عصر، وإن هداهم لا يصلح لنا، فهذا مثله كمثل الذي يزعم أنه جاء إلى الدنيا طفرة، بلا أب ولا أم ولا جدود، وليس فيه من جينات أحد ولا ملامحه شيء!

وهل ذلك معقول أو مقبول؟

وهو يعيش الحاضر بوعي وتوازن، لا يجعله مساحة مبتورة عن الماضي والمستقبل، بل يأخذ من ماضيه لحاضره، ويعطي من حاضره لمستقبله: لا على طريقة الأبيقوريين:

لا تشغل البال بماضي الزمان	ولا بآتي العيش قبل الأوان
واغنم من الحاضر لذاته	فليس في طبع الليالي الأمان

لذلك فإن من لا يعيش عصره بعين مفتوحة، وقلب يقظان، ووعي مستبصر لا يمكن أن يكون من جملة السلفيين الوعاة:

- أولم يُعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأخبار الروم وفارس؟
- أولم يعرف صلى الله عليه وسلم عقليات وعقائد وسلوك اليهود والنصارى والمجوس والصابئة والفراعين في عصره، ويحدث أمته عنهم!؟
- ألم يكتب إلى الرسل والملوك، ويستنبط أساليب حربية من الفرس، ويستحدث أساليب في التجارة، ويستقبل الوفود من هنا وهناك، ويكلم كل أحد بما يفهم؟
- ألم يرسل زيد بن ثابت رضي الله عنه ليتعلم لسان يهود، والسريانية لسان النصارى ليسهل عليه التحاور معهم؟
- ألم يذهب إلى الأسواق، ويعرف طباع الناس، ويعامل المشركين والمنافقين ومسلمة الفتح والمؤلفة قلوبهم؛ كلا بحسبه؟

فلماذا غفلتنا عن عصرنا ونوازله وهمومه!؟

أيكون هذا من السلفية الحقة؟!

وهو كذلك يفكر في المستقبل القريب والبعيد، بكثير من الحرص، والوعي، وحسن الاستشراف، يفكر في بناء مدعوين وأجيال مسلمة، من الخلَف العدول الذين يحملون هذا الدين لمن بعدهم، ينفون ويذبون، ويسددون ويقاربون، ويصبرون ويصابرون..

كما يخطط لمستقبله في الجنة؛ ما استطاع إلى ذلك سبيلًا!

- ألم يتحدث عليه الصلاة والسلام مع أمته عن المستقبل؟ (أوشك إذا طالت بك مدة/ سيكون بعدي أقوام/ إنكم سترون من بعدي/ أنت منهم/.....؟
- ألم يتحدث عن الفتن والملاحم وأشراط الساعة وما سيكون في آخر الزمان؟
- ألم يسأله أصحابه رضي الله عنهم: فما تأمرنا يا رسول الله؟
- ثم ألم يفكر عمر رضي الله عنه بفقهه ووعيه الكبير في أجيال الأمة اللاحقة في مسائل الوقف وغيرها!؟
- ألم يرفض الإمام مالك رضي الله عنه فرض مذهبه على الأمة احتياطًا لمستقبلها؟
- ألم يتكلم الأصوليون عن فضل الاختلاف، وفقه المقاصد، وكون ذلك رحمة للعالمين!؟
- ألم يتحدث فقهاؤنا الذين وصمهم القاصرون بـ (الأرأيتيين) عن مسائل لم تقع، وقدموا لها حلولا فقهية، واجتهدوا لها وقاسوا ونبهوا!؟

هذه مساحات الزمان الثلاث في الوعي السلفي النبيه، لا يقفز على إحداها، ولا يهملها، ولا يتجاهلها، وإلا كان سلفيًّا مغشوشًا!

فإذا لقيتُ تائهًا يقول لي دعوا عنكم الماضي، فإنه قد انتهت صلاحيته – كما يفعل قطاع كبير من المنبهرين – لقلتها واضحة بلقاء:

إن الذي يتنكر لماضيه هو (اللقيط الملتقط) ونحن خير أمة أخرجت للناس، نفخر بديننا ومواريثنا، وعطاءاتنا، ولو كره المذؤوبون المنبطحون!

وإذا جاء من يقطعني عن الحاضر – من العاكفين على ذواتهم، الجاهلين المستجهلين، الذين لا يدرون ما الدين، وما الدعوة – لقلت له إنك لا تدري ما رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا ما سنته؛ فارجع إليها وتعلم، ثم تكلم!

وإذا قطعني أحد عن مستقبل الأمة، واستشراف حال الدعوة، والتخطيط للإسلام والمسلمين في المشارق والمغارب، والعمل إلى ما بعد الحياة الدنيا، فإنه سيكون ممن يحرضني على خيانة نفسي وديني وأمتي وآخرتي!

حتى بوش سلفي!

وإذا كانت السلفية – بمعنى الرجوع للماضي، والامتياح من مناهله – قد تحولت عندنا إلى كلمة متهمة، فإنها عند الآخرين مصدر فخر واعتزاز، فكل الناس سلفيون – شاؤوا أم أبوا؛ إلا اللقطاء أبناء الحرام...

لكن سلف بعضهم أبو بكر وعمر والبخاري..

وبعضهم يتخذ سلفه من أمثال فرعون وسقراط وفيثاغورث، وشكسبير ودانتي، ونابليون ومكيافيللي، يباهون بذلك ولا يستنكفون!

وإنك لواجد لأناس مثل السفاحين: ريجان وبوش، وكارتر وديك تشيني، وبلير وميلوسوفيتش، سبحًا طويلا في السلفية الإنجيلية..

وواجد عند (الخواجات، والمُتخَوْجِنين) تعظيمًا هائلًا للإغريق والرومان، والعوائد والأعراف الأنجلو سكسونية، ولرموز التنصير الضخمة مثل فرديناند، وإيزابيلا، وكابتن كوك، وريمون لول،، والبابا أوربان، والصليبي البغيض مارتن لوثر، والقديس لويس وغيرهم!

وواجد عند شارون ورهطه سلفية صهيونية تلمودية هائلة، يستحيون من خلالها أساطيرهم، وأباطيلهم، وسخافات تلمودهم، ومواضعات أحبارهم!

حتى العرب – الذين باتوا يكرهون هذه اللفظة – صاروا يصنعون لهم سلفًا غريبين عجيبين:

- فمِن فخورٍ منبهر بحورس وست ونفرتاري!
- ومن مباهٍ بجلجامش وعشتار وإينال!

- ومن باحث عن وشيجة تربطه بالأسود العنسي وسجاح!
- ومن تائه يحتفل بسينت باتريك وسينت فالانتاين!
- ومن متعلق بوهم الزنوجة، أو القبطية، أو البربرية الأمازيغية، أو الكنعانية الوثنية!

ويا لتعاسة التائهين!

فما لهم يستكثرون عليّ أن أتباهى بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأتباعه؟

ما لهم يلومونني على حب الزهري والبخاري، والليث ومالك، وابن تيمية وتلاميذه؟

وأي الفريقين خير؟

وما يستوي الأعمى والبصير، ولا الظلمات ولا النور، ولا الظل ولا الحرور

وما يستوي الأحياء ولا الأموات!

تكريس السلفية الفرعونية ورفض الإسلام من أكبر أشكال خيانة مصر عقيدة ودستورًا

من صور الخلل:

ككل شيء علمي، تقوم السلفية على جملة من القواعد سأوجزها؛ توصلًا لدراسة جوانب الخلل في التطبيقات المعاصرة التي لم تخطر بالبال، يوم كان هذا المصطلح – قبل ربع قرن أو ثلثه – غضًّا طريًّا، سويًّا على صراط مستقيم:

1. خلل التشرذم والانقسام المزعج: فلم يخطر بالبال يومًا أن تصير السلفية سلفيات، ولا اللافتة لافتات!

ولم يجل بالبال أن نسمع عن مدرسة الإسكندرية والسرورية والمدخلية والجهادية والطحانية والمقبلية والحدادية وغيرها من السلفيات التي بات أكثرها قاصرًا مزعجًا مثيرًا لكثيرا من الجدل والعجب!

2. وخلل التطاول: فلم يجل بالخاطر أن يفرز هذا المنهج العلمي الورِع، الوادع، العف، الرزين، الرشيد جرآء على الناس، مستبيحين لأعراض العلماء، متطاولين مدعين، يسهل عليهم، السب، والعيب، والتبديع، والتقريع!

3. وخلل السطحية: فلم يقع في الروع أن يتحدث باسم السلفية سطحيون بضاعتهم قليلة، باهتة، هزيلة، لم تتجاوز قراءاتهم بعض أوائل الكتب، ولم يبصروا كيف كان جلَد السلف في العلم والاستيعاب، وكيف كانوا موسوعيين شموليين، وحفظة متقنين، وفقهاء مستبصرين!

4. وخلل العجلة: فما تصورت أن يقفز أحداث – في العلم – لم تنبت شواربهم، ولم يريّشوا، ليقوموا بالتحقيق، والتأليف، والتنظير، والاستدراك على العلماء الأثبات، ويصفوهم بالوهم أو الخطأ أو الإساءة، وليصحِّفوا نصوص كتب التراث، ويحرفوا النصوص – تحت زعم التحقيق – ويدخلوا في مآزق مضحكة مبكية!

5. وخلل الجمود: فلم أتخيل أن تكون الدعوة في بعض مواقعها جامدة راكدة، بسبب ضعف في الرؤية، أو عشىً في البصيرة، أو تجاهل للآليات والوسائل المعاصرة، أو انغلاق مهين مقيت.

6. وخلل تطبيق المنهج: فلم يقفز للذهن أن نجد من السلفيين من يتغطون بثياب التكفير، من حيث لا يشعرون!

ولا من يقذعون السب ويتفننون في الهجاء، أو من يسخرون من غيرهم.

ولا من ينطوون على أنفسهم؛ معتقدين– مطلقا – أنهم الأهدى والأسدّ، والأقوم والأرشد!

ولا من يعتزلون العصر – حالًا لا مقالًا – متهربين من مسؤولياتهم نحو الدين والدعوة، تحت مبررات ظاهرها الورع، وباطنها العجز والهروب!

7. وخلل الأحادية المستكبرة: فأحدهم – عند النظرة المتعمقة – ليس ذلك الجمل الأنف، الذي إذا قيد انقاد، وليس اللين في أيدي إخوانه، بل هو جزيرة منعزلة، له عالمه، وله فلكه الذي يسبح فيه، وله تصوره الخاص عن الدنيا، وعن السلفية، وعن الدعوة، وعن.... عن كل شيء!

من ملامح المنهج المرتضى:

وباستقراء بعض الخطوط العريضة للمنهج السلفي، الذي نظنه أهدى سبيلًا، وأقوم قيلًا، يمكننا – لا حصرًا بل تمثيلًا – الخروج بهذه الملامح:

- السلفية عقيدة هادية مهدية:

تُعنى السلفية بالناحية الاعتقادية عناية بالغة، تأسيسًا على أن الله تعالى (لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك؛ لمن يشاء) وعلى سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، الذي بلّغ عن ربه تعالى أن من مات على لا إله إلا الله؛ خالصًا بها قلبه (دخل الجنة) واستصحابًا لهدي السلف الصالحين بالعناية بالتوحيد، والتنبيه على موارد الشرك والابتداع..

وفي ذلك الخير والهدى تجد الكثير مما لا يحتمل إيراده المقام.

- والسلفية اتباع راشد:

= = هي اتباع لأنها ترى أن منهج السلف أهدى وأسلم، وأعلم وأحكم..

ومَن كالسلف؟

- ايتوني برجل كالصحابة الأعلام، الصديق، والفاروق، أو المبشرين، أو ابن عباس، أو ابن مسعود، وابن عمرو أو أشباههم! سبقًا، وهدىً، وفقها، وورعًا!
- ايتوني – من الكون كله – برجال كالتابعين كسليمان بن يسار، وعروة بن الزبير، وابن المسيب، وابن سيرين، وربيعة ابن أبي عبد الرحمن، أو سفيان أو أشباههم!
- ايتوني برجال كابن تيمية وابن القيم، وابن حجر، والعينين والسخاوي، والسيوطي، والذهبي، بحارٍ في العلم والحلم والورع والزهد والإنصاف المعجب؛ أحسبهم، والله حسيبهم، ولا أزكي على الله أحدا!

فهل ألام على حبهم وترسّم طريقهم؟

= = وهي رشاد؛ لأن منهجها بيّن، وأدلتها جاهزة، ومرجعياتها مؤسسة منذ قرون، وقد تبنتها الأمة، وطبقتها، وعرفت نتائجها!

فلا لبس، ولا غموض، ولا اضطراب.

- **والسلفية شمولية وسعة فهم:**

وليست تضييقًا لواسع، ولا تعسيرًا ليسير، ولا علمًا واحدًا من العلوم، ولا رؤية منفردة من الرؤى.

ألم يأتك نبأ علم عائشة وعلي وابن مسعود؟

ألم تر إلى سعة علم ابن تيمية وابن القيم وابن حجر والذهبي؟

فلم ضاق العطن، ووشل البئر؟

لم ساد من لم يفقهوا، وتكلم من لم يعلموا، وتصدر من لم يصدروا عن أساتذة ومربين راشدين؟

- **والسلفية رحمة وعذر؟**

ألم تعلم بحال الرحمة المهداة بأبي هو وأمي وأهلي أجمعين؟!

ألم تسمع إلى أفعال الصديق والفاروق والخلفاء والأئمة في رحمة الأمة؟

ألم يأتك القول النبيل الحكيم (التمس لأخيك عذرًا من سبعين، فإن لم تجد فقل لعل له عذرًا لا أعرفه، فإن لم تستطع فاتهم قلبك الذي لا يستطيع أن يلتمس لأخيه العذر)!

- **والسلفية لا تشق عن القلوب والنوايا، إنما لها الظاهر البين..**

(والله تعالى يتولى السرائر) فلا دخول في النيات، ولا استراق للضمائر، ولا تقوّل على الدخائل (ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به) كما قال سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه، (هلا شققت عن قلبه؟/ إن النبي لا يقتل بالإشارة/ لا خائن في جيش عبد الملك.. ولسان الفقه يقول:

ولستَ بمستبْقٍ أخًا لك لا تلمُّه على شعثٍ، أيُّ الرجال المهذبُ

- **والسلفية سعة صدر واحتمالٌ للخلاف:**

ألم يبلغك مشاورة محمد صلى الله عليه وسلم أصحابه؟

ألم يبلغك اختلاف عمر وابن مسعود في كذا وكذا مسألة؟

ألم تر إلى المسألة الواحدة في المذهب الحنفي يخالف فيها التلاميذ أستاذهم في حياته، فيقول أبو حنيفة برأي، ليخالفه تلميذه أبو يوسف، ويخالفه محمد بن الحسن، ويخالفه زفر ابن الهذيل، ويخالفه ابنه حماد؟

فلماذا هذا الحال؟

لماذا النظرات الأحادية، والإصرار على نظرية: رأيي صواب لا يحتمل إلا الصواب، ورأي غيري خطأ لا يحتمل إلا الخطأ؟

- **والسلفية تجديد دائم، وتطوير لا يهدأ:**

ألم تسمع بما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتاريخ الإنساني؟

ألم تر إلى الفاروق وأولياته التي لم يُسبق إليها؟ واجتهاداته المستنيرة المنيرة؟

ألم تر إلى العلوم والمعارف التي استحدثها السلف في أمة أمية لا تكتب ولا تحسب خلال عقود قليلة؟

ألم تر إلى الأئمة المهديين الذين استحدثوا مناهج وبرامج في العلم الفهم والسلوك، والتزكية والاعتقاد؟

ألم يبلغك ما فعل ابن تيمية بزمانه وأهل زمانه؟

ومَن قسّم مثل تقسيماته في العقيدة، وشقّق في التربية والفقه والتفسير والدعوة وسائر علوم الشريعة!

فلم لا نعيش هموم زماننا، ونوازله، وقضاياه ومشكلاته، بما يفهم الناس، وينفع ويبقى!؟

ما لنا أبعد الناس عن آليات العصر ووسائله وتقنياته باسم السلفية والالتزام؟!

لم نظلم السلفية باسم السلفية، ولم نحجم الإسلام باسم الاتّباع؟

- **والسلفية عفة في القلب واليد والسلوك:**

ألم تر إلى سلفك وهم يُضربون على القضاء، ويتنزهون عن مجالس الخلفاء، ويطلبون صحبة الفقراء والبسطاء، ويستخْفون بالطاعات والقربات؟

ألم تر إليهم والدنيا في أيديهم لا في قلوبهم، والله تعالى في قلوبهم لا على شفاههم؟

ألم تطرب معي للقاضي الجرجاني وهو يهتف في شموخ:

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم	ولو عظموه في النفوس لعظما
وما كل برق لاح لي يستفزني	ولكن نفس الحر تستعذب الظما
أأشقى به غرسًا وأجنيه ذلة!؟	إذن فاتباع الجهل قد كان أحزما

- **والسلفية: كفٌّ عن الدماء والأعراض والأموال، وسؤال دائم للعافية:**

فهي تعي جيدًا قوله صلى الله عليه وسلم: (لا يزال المرء المسلم في فسحة من دينه؛ ما لم يصب دمًا حرامًا) وقوله بأبي هو وأمي: (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم....) فهي أساس في كف اليد واللسان عن المسلمين.

وتوقن أن المسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس،

وتعلم أن الله تعالى يحب الرفق في الأمر كله..

ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف..

فلا قتل، ولا سفك دم، ولا استحلال لمال ولا عرض، ولا حتى بغيبة أو نميمة (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا)!؟

ولا ترويع لمسلم آمنٍ وادع (لا يحل لمسلم أن يروع مسلمًا؛ إن روعة المسلم شيء عظيم)!

السلفية مسالمة لا تعرف الضرب ولا الغدر ولا الهجوم ولا المباغتة،

لا تعرف حمل السلاح – إلا على أعداء الأمة المهدِّدين لأمنها ودينها – ولا تعرف للدم شهوة، ولا للسفك سعارًا؟

وأقسم بالله – راجيا ألا أحنث – أن من يتسمون باسم الجماعة السلفية للدعوة والجهاد، في الجزائر، وينسب إليها ذبح الناس من الأعناق كالخراف أو الدجاج – إن صح وجودها – أنهم ليسوا سلفيين، ولا مجاهدين، بل لصوصًا وقطاع طرق؛ مع يقيني أنهم أخبار ملفقة، وأحاديث خرافة، وأنهم أسطورة حيكت للكيد للإسلام وأهله، ولمزيد من القمع والإرهاب واستباحة الشعوب!

- **والسلفية تلقٌّ مستبصر، وتدين واعٍ:**

تعرف معنى قوله تبارك وتعالى: (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صمًّا وعميانًا) وقوله تعالى: (على بصيرة أنا ومن اتبعني) (هاتوا برهانكم) [لا يحل لمن لم يعرف دليلي أن يروي عني] [بيننا وبينكم القوائم] فليس فيها ظاهرية بحتة في الفهم، ولا أخذ بدليل واحد وترك لبقية النصوص، ولا انبهار برأي شيخ واحد أو مدرسة واحدة، ولا تسليم مطلق، بل هي تحقيق وتمحيص، وتأكد ووعي!

- **والسلفية بلاغ جلي أبلق، واضح بين:**

يفهم جيدًا معنى قوله عليه الصلاة والسلام: (نضر الله امرءًا سمع مقالتي فأداها كما سمعها)..

فهي حرص على التوصيل، وحذق في البلاغ، واستقامة في اللسان، وقدرة على البيان، ومعرفة بالدليل، ووعي بالحال.. وليس نمطًا واحدًا جامدًا، يخاطب فيه الإسلاميون بعضهم بعضًا – كالحال التعس – بل يهتمون ببلاغ غيرهم، والوصول غلى قلةوبهم، وتصحيح وجهات نظرهم، بطرائق الدعوة ووسائل الجديدة.

- **والسلفية تعرف متى تعزم ومتى ترخص..**

وهي تقدر الأمور بقدرها: ألم تسمع عن تعدد توجيهات الحبيب صلى الله عليه وسلم بتعدد السائلين وأحوالهم؟

ألم تبلغك فتوى ابن العباس رضي الله تعالى عنهما عن توبة القاتل؟

ألم تعلم بتغير كثير من فتاوى سيدنا الشافعي رحمه الله تعالى لما جاء إلى مصر؟

ألم تسمع بالقواعد المرنة في الأصول عن تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والحال، وعن الرخصة والعزيمة، والضرائر الشرعية، واعتماد الإباحة أصلًا للأشياء، وتراوح النصوص بين الظنية والقطعية، والتركيز على قاعدة التيسير لا التعسير، والأحكام الشرعية الخمسة، وأن الاختلاف رحمة، وغير ذلك من الفقه اليسير العظيم!؟

سبحان الله العظيم! أليست هذه كلها قواعد سلفية؟!

- **والسلفية تربية وتزكية:**

فليست منهجا جافًّا للتلقي، وعقلنة بحتة للأمور، بل هي كذلك تهتم بالروح، وترفِد القلب بما يقوّمه، وتوازن في الآدمي بين التسليم والفهم، بين العقل والقلب، بين رقة الزاهد وحيادية العالم، فإذا رأيت أحدًا – مثلي – قاسي القلب لا تبض عينه بدمعة من خشية الله تعالى، فاعلم أن عليه مراجعة نفسه..

تدري لماذا؟

- لأنه لم يسمع عن قيامه صلى الله عليه وسلم حتى تتفطر قدماه!
- ولا عن شراكي النعل على خدي محدَّث الأمة الفاروق من البكاء!
- ولا عن رهبان الليل وفرسان النهار!
- ولا الذين كانوا يقومون الليل كله بآية واحدة!
- ولا على الذين كانت تسيل ألسنتهم ذكرًا، وعقولهم فكرًا، وأفعالهم خشية!

فمن ادعى السلفية ولم يكن كهؤلاء فهو – وسامحوني – كذاب أشر!

- **وهي نشدانٌ لا يتوقف للحق..**

بغضّ النظر عمن يصل إليه أولًا؛ ذلك لأن (الكلمة الحكمة ضالة المؤمن) وطالب الحق كناشد ضالة، لا يبالي على يده أو يد غيره رجعت، فليست الدعوة مجرد شهوة عقل، ولا حظ نفس، بل هي حق وبلاغ، وأداء واجب، واحتساب، واستخفاء بالطاعة.

والحق ليس دائما مع المنتسب للتيار السلفي، ليكون غيره (كخة) فسلفُنا هم الذين قالوا: قولي صواب يحتمل الخطأ، وقول غيري خطأ يحتمل الصواب!

وهم الذين قالوا: كل أحد يؤخذ منه ويترك.....

- **وهي سلوك وممارسة:**

فإذا وجدت مخلافًا للوعد، أو كذاب اللسان، أو خائن العين، أو جافي المنهج، أو عدواني الطريقة، أو جهم الأسارير، فلا تلتفت إليه؛ ولا تعطه صفة المتبع، وإن حلف منعقدةً أنه سلفي وابن سلفي!

أو ليس محمد صلى الله عليه وسلم هو القائل: خياركم أحاسنكم أخلاقًا/ و:لا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف/ و/آية المنافق ثلاث؟

أو ليس هو صلى الله عليه وسلم القرآن يمشي على الأرض، والرحمة والعذر والكرم؟
أو ليس هو الذي نبهنا إلى أن الله تعالى يحب معالي الأمور ويكره سفسافها؟

- وهي تعظيم للصحابة والعلماء..

وكفٌّ عما شجر بينهم، وإكرام لدورهم وجهادهم، وتعظيم لكلام القرآن فيهم، فهم في جملتهم كرام (رضي الله عنهم، ورضوا عنه) فلا عبرة بمن يستحل الخوض فيهم، ولا من يقتات من ذمهم، من مرتزقة الكتّاب، ونخالة المتدينين الجانحين، الذين أطلقوا ألسنتهم في العلماء والدعاة بالثلب والسب، والانتقاص والتبديع، والوقوع في الأعراض بكثير من الفجاجة وقلة الورع، حتى إنهم ليصفون أحدهم بالكلب، أو المرتد، أو الحمار! مالكم!؟ كيف تحكمون!؟

إشكالية غياب الشيوخ، وحَنْبَلة الإسلام

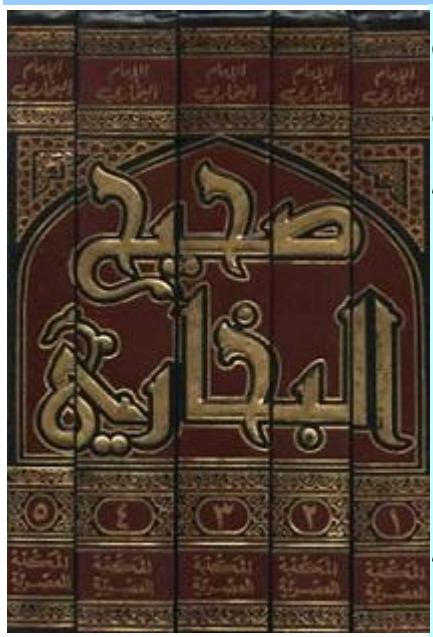

أزعـم – ومزاعمـي كثيـرة للأسـف – أن الإمـام العظيم محمد بن إسماعيل البخاري لم يصر بهذه القامة من فراغ، فحين تطلع أيها الحبيب على سيرته العلمية تعجب أن الإمام (وهو من سلفنا، صحيح؟) قرأ – فقط – على ألف وثمانين شيخًا! ليس فيهم إلا صاحب حديث، كما في سير أعلام النبلاء (395/12) مرة ثانية: على ألف وثمانين شيخًا!

داخ، وطاف، وعانى، وحصّل، ثم تمثل ذلك كله رحيقًا طاهرًا، أنتج منه كتبه العظيمة، وأعلاها الصحيح!

ويلفت نظري أن من سلفيي اليوم من يتلقون العلم بشكل ناقص مبتور، فبعضهم يجلس إلى شيخ بضعة أشهر – أو حتى بضع سنين – ثم إذا هو ينسب نفسه: أبو فلان، فلان بن فلان، السلفي، الأثري، مد الله ظله العالي!

وإذا به بعدُ يقول في مجالسه الاستعراضية: حدثنا شيخنا، ويقول: شهدت شيخنا، وسارَّني شيخي!

مذهبي في هذه المسألة كذا، ورأيي في هذا الأمر مذا؟!!!!!!!!

يا سلام!

ووالله لقد سمعتها غير مرة!

وأحيانا يكون (شيخنا) هذا من أقرانه في السن، والمستوى، وضحالة القاع، وعتامة الرؤية!

مع أن العقل يقتضي أن يجلس أخونا (العنين) على عشرين أو ثلاثين أو خمسين أو مائة (شيخ) في علوم وفنون شتى– بحسب سيلان واديه – ليسمع ويرى ويتعلم، لكنها العجلة والادعاء، خصوصا إذا لم يكن الأخ الكريم مؤسَّسًا أصوليًّا، شاملًا في تلقيه!

ومن مضار هذا الأمر أن الأخ لا يرى إلا بعين شيخه وحده، مع أن مالك بن أنس رضي الله عنه (الإمام العظيم) رفض أن يلزَم المسلمون برأيه، لما طلب أمير المؤمنين ذلك منه (لأن الصحابة تفرقوا في الأمصار، ونقلوا معهم العلم هنا وهناك)!

ومن مضاره أيضًا حصر الإسلام كله في عقل واحد أو اثنين أو خمسة، أو في إمام واحد – أيًّا كان، غير رسول الله صلى الله عليه وسلم – وهذا غاية في الغباء؛ لأن النتيجة – ببساطة – تكون هكذا:

إذا جاءت أحدهم الفتوى من الشيخ فلان، أو صدر رأي من الأخ علان كانت بردًا وسلامًا، وإذا جاء الكلام من غيرهما كان (زفتًا وسخامًا) لأن الآخرين – ببساطة – أغبياء، يغلب عليهم ضيق الأفق، والرداءة والخبث والتخلف والكيد للإسلام!

أهذا معقول، لقد رأيت أقواما إذا جاءتهم الفتوى من العالم العظيم ابن باز عظموها ورفعوها، وإذا جاءتهم من غيره سخروا وتنقصوا..

ورأيت غيرهم إذا جاءتهم الفتوى من القرضاوي (حفظه الله وأدامه) جعلوها راية ومنارًا، وإذا جاءت من غيره استسخفوها وازدروها، وجعلوها عارًا وشنارًا!

رأيت من يقول ابن جاز، ومن يقول: الأرضاوي!

من يقول: أعمى البصر والبصيرة، ومن يقول المرتد الضال المبتدع!

ومن يقول: الألباني (حمار في الحديث) – هكذا والله – ومن يقول (مثلما كانت تقول المعتزلة في الماضي): نحن أهل العدل والتوحيد، وغيرنا جهال جامدون!

ما هذا السخف؟! أف والله وأف.. وأف!

أليس هذا إفكًا، وجهالة، واستباحة للأعراض المسمومة، وسوء منهج؟

ثم أليس هذا تحجيرًا للإسلام وتنميطًا للفكر؟

كيف أحصر الإسلام المعاصر في الألباني وابن باز وابن عثيمين، أو القرضاوي والغزالي وأبي شقة، أو شيخ الأزهر أو إمام الحرم، في السلفيين أو الإخوان!؟

كيف أُحنبل الإسلام أو أُؤَخْوِنه، أو أؤزهره..وبس؟

هذا هو الواقع، للأسف الشديد، عند كثيرين من الطيبين!

ألم يقم الفقه الإسلامي على مدارس، وأئمة، واختلاف ثري معجب؟

ألم يشجع هذا على المنهج العائر إطلاق مصطلحات مثل الإسلام السعودي، والفقه البدوي، والظاهرية الجديدة، والظلامية، والتخلف!؟

منهج التلقي عند السلف رضي الله عنهم

بعد أن ظهرت دعاوى، وتطاولت ألسنة، وتشدق جرآء، مطالبين بإلغاء أسماء، وحرق كتب، وتبديع مشايخ، وتكفير رموز!

وبعد أن ظهرت عبارت نارية في (الجرح والتعديل) المعاصرين! مثل كلب ابن كلب خنزير ابن خنزير، وفلان أشد خطرًا على الإسلام من اليهود والنصارى، والكلب العاوي، وأشباه هذه السخافات التي تنم عن جهل وقلة ورع، واستباحة لِلّحوم المسمومة، إزاء هذا نرى لزامًا أن نضع إضاءات ومعالم لمنهج التلقي عند السلف الصالح، وهي ملامح أرجو أن يرتضيها، ويقرها كل من يدعون للإسلام:

** إن من أسس منهج التلقي عند السلف رضوان الله عليهم: أن كل إنسان يؤخذ من كلامه ويترك غير رسول صلى الله عليه وسلم؛ لأنه يخطئ ويصيب!

فالعصبية للنفس، أو الفكر، أو الجماعة، أو الفرد – بشكل مطلق – ليست من العدل، ولا من العقل، ولا من صالح الدين، والعصمة ليست إلا للمصطفى صلى الله عليه وسلم، ولم يدعها أحد من السلف حتى أسبغها – بلسان الحال – على شخص أو تيار أو جماعة.

وهذا البلاء يكاد يكون مصيبة الإسلاميين كلهم – كلهم لا أستثني تيارًا – إذا تحدثوا عن أنفسهم أو انتماءاتهم، واقرأ ترَ ما يُغثي، ويجلب الصداع.

** وإن من أسس التلقي عند السلف رضوان الله عليهم: الحكم على الأقوال لا على الرجال، وعلى الألفاظ لا على النيات، فأمر النيات موكول إلى الله تعالى الذي يعلم السر وأخفى، فرب قائل كلمة شديدة المعنى قبيحة المدلول، يملك من حسن النية ما يشفع له عند الله تعالى، كذلك الذي قال: (اللهم أنت عبدي وأنا ربك) وكالذين قالوا: (اجعل لنا ذات أنواط) وكالذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم: (ما شاء الله وشئت) فوقع التصحيح، ولم يقع التلاوم والتكفير.

ورحم الله الإمام القرشي العظيم محمد بن إدريس الشافعي، حين مرض رحمه الله، وأتاه بعض إخوانه يعوده فقال للشافعي:

قوى لله ضعفك، قال الشافعي: لو قوى ضعفي لقتلني!

قال: والله ما أردت إلا الخير!

فقال الإمام: أعلم أنك لو سببتني ما أردت إلا الخير!

** وإن من أسس العمل عند السلف رضوان الله عليهم: أن نتأول كلام المسلم الذي قد يوهم ما لا يجوز، ونحمله محامل حسنة – ما استطعنا إلى ذلك سبيلًا – هروبًا من تكفير المسلم، أو إباحة دمه، أو تعريضه لما يمكن ألا يكون قد قصده.

والخطأ في العفو خيرٌ – ألف مرة – من الخطأ في العقوبة؛ وإلا كانت هناك فرصة شيطانية للولوغ في الدماء، وعَرض أمة محمد كلها على النطع والسيف، لأنه لا أحد منها معصومًا بعد النبي صلى الله عليه وسلم.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا رسول الله، الذي علم المسلمين حُسن الظن، فقد جاءه رجل يقول: إن امرأتي ولدت غلامًا أسود. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: هل لك من إبل؟ قال: نعم. قال: فما ألوانها؟ قال: حُمْرُ.

قال: هل فيها من أورق؟ [يعني فيه سواد] قال: إن فيها لوُرقًا.

قال: فأنى أتاها ذلك.

قال: عسى أن يكون نزعه عِرْقٌ.

قال: وهذا عسى أن يكون نزعه عِرْق] الصحيحان.

** وإن المناصحة والمناقشة والتحاور ضرورية لتطهير النفوس، وإزالة الشبهات، فأنت مع أخيك المسلم إما أن تصحح له، أو يصحح لك.

أما أن يرى أحدهم نفسه صوابًا مطلقًا، ويرى الآخرين جهلًا وخروجًا وانحرافًا مطلقًا، فهذا منهج تكفيري، سقط فيه بعض من أدعياء السلفية، نعوذ بالله من شره.

** وإن منهج اجتزاء سطور، أو كلمات موهمة من سياق عام – في كتاب أو في خطبة – للحكم على شخص من الأشخاص – دون تأمل منهجه كاملًا – يوقع حتمًا في التكفير والظلم.

وهذا من أشنع ما يؤول إليه أمر الأمة، وهو الذي جرّ عليها في السنين العشرين الأخيرة من الويلات والبلايا ما لا يعلمه إلا الله تعالى، مما لا تقر به عيون أهل الحق، السالكين على الصراط المستقيم.

وإننا لو أعملنا هذا المنهج، وأشهرنا سيوف التكفير، وعدنا للكتب القديمة المحترمة والتي تلقتها الأمة بالقبول، لم نعدم ألفاظًا أو جملًا في كتب علماء كبار كابن حجر، والعيني، والنووي، والذهبي، والسيوطي، وابن العماد وغيرهم هي أشد كثيرًا مما قاله الأستاذ سيد قطب – مثلا – الذي يطالب بعضهم بحرق كتبه، فهل نكفرهم؟

إنها – إذن – لإحدى الكبر.

لقد أسرتني كثيرًا كلمة كتبها الرجل الموفق د. أبو بكر زيد عضو هيئة كبار العلماء بالسعودية ورئيس مجمع الفقه الإسلامي – شفاه الله وعافاه – مدافعًا عن الشيخ سيد قطب رحمه الله قال فيها:

اعتبر – رعاك الله – حاله بحال أسلاف مضوا، أمثال أبي إسماعيل الهروي والجيلاني، كيف دافع شيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى عنهما؛ مع ما لديهما من الطوام؛ لأن الأصل في مسلكهما نصرة الإسلام والسنة.

وانظر منازل السائرين للهروي – رحمه الله تعالى – تَرَ عجائب لا يمكن قبولها، ومع ذلك فابن القيم – رحمه الله تعالى – يعتذر عنه أشد الاعتذار ولا يجرمه فيها، وذلك في شرحه: "مدارج السالكين" مع الفارق الكبير بين منهج "السيد" ومنهج الهروي والجيلاني!

سرتني هذه الكلمات بقدر ما آذتني كلمات أخرى وردت في إطار دعوى مدخلية (لا سلفية) تصف الأستاذ السيد – رحمه الله – بالكفر والمروق والضلال، والقول بوحدة الوجود وخلق القرآن، وغير ذلك من السخافات التي لا يقوم عليها دليل ولا يؤيدها برهان.

** ومن أسس التلقي عند السلف رضوان الله عليهم تلقي الحكمة من الحكيم بيقظة ووعي، مع الانتباه إلى أنه ربما تورط – بقصد أو بغير قصد – في (زيغة) أي في شعبة

من الضلال (في الرأي) اقتضاها التعجل في الفتوى، ولا أستبعد الهوى أو العصبية أو الكبر أو غير ذلك.

وقد حذرنا سيدنا الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه في وصية عجيبة ملهَمة كما في سنن أبي داود: "وأحذِّركم زَيْغَة الحكيم؛ فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلال على لسان الحكيم"!

قال الراوي: قلت لمعاذ: وما يدريني يرحمك الله أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة؟

قال: بلى! اجتنب من كلام الحكيم المشتهرات، التي يقال فيها: ما هذه؟ ولا يثنك ذلك عنه؛ فإنه لعله أن يراجع، وتلقَّ الحق إذا سمعته؛ فإن على الحق نورًا!

الله الله... فإن على الحق نورًا.. ما أحكم هذا وأبدعه!

** ومنها عدم الوقوع في العالم إذا زل، وعدم لَوْكِ زلته، والتحدث بها، ثم الإعراض عنه واجتنابه، فإنه – لكونه حكيمًا وغالبا – يراجع نفسه، ويوفقه الله للعودة للصواب، ويومئذ يفرح المؤمنون.

ألم يتراجع الإمام أبو الحسن الأشعري عن فكره الكلامي؟

ألم يتحدث أبو حامد عن عقيدة العجائز؟

ألم يتراجع كثيرون كثيرون عن فتاوى بدرت بغير تروٍّ، فثابوا وتراجعوا، ونادوا في الناس أنْ قد أخطأنا؟

** ومنها: تفريغ القلب لتلقي الحق المبين الذي لا يواريه دخن ولا دخل، والإقبال على الحق بمجرد سماعه. والحق واسع المداخل إلى القلوب، سريع الاستقرار فيها، خصوصًا إذا صدر عن قلوب صادقة وقصود مستقيمة.

ووالله لقد جلست دقائق أمام داعية مبارك – رغم دراستي بالأزهر سنين وسنين – دقائق معدودات، حولني الله خلالها إلى حب الطاعات، ونفعني بها نفعًا عظيمًا، وغير حياتي كلها.. فقط في خمس دقائق، لأنه – والله حسيبه – كان عالمًا ربانيًّا، صادقًا، حريصًا، فغير الله تعالى به حياة كثيرين، كنت منهم، وأقلَّهم!

** ومنها الترحيب بالنقد والتصويب، وعدم الاستعلاء والإصرار على الرأي، فهذا (من عمل الشيطان؛ إنه عدو مضل مبين)، وأعتقد أن من يفعل ذلك جاهل ضعيف، أو مغرور مستطيل.

وقد أخرج هذا الاستكبار إبليس عليه لعائن الله من الجنة، وأعاد جبلة بن الأيهم إلى النصرانية، وأبعد كثيرين عن القبول والقلوب!

إن ذلك مرض يا سيدي، وبائي واسع الانتشار، يحول بين الإنسان والإجادة، والقفز بعمله وطموحاته قفزات عالية، ويحول بينه وبين تصحيح أخطائه، وتعديل مساره! وهو مرض برأ اللهُ منه الموفقين وأهل الرشاد:

الصديق أبو بكر رضي الله عنه يرد على قائل له: اتق الله، بالشكر والثناء. ويقول له: لا خير فيكم إن لم تقولوها، ولا خير فينا إن لم نسمعها.

والفاروق الملهم كان يستدعي النقد قائلًا: رحم الله رجلًا أهدى إليّ عيوبي، وحين قال له أحد البدو الجفاة: لو رأينا فيك اعوجاجًا لقومناه بسيوفنا، رد الفاروق العظيم عليه قائلًا: الحمد لله الذي جعل في أمة محمد صلى الله عليه وسلم من يقوّم ابن الخطاب بسيفه.

وكثير من أئمة الإسلام العظماء كانوا يفرحون إذا خالفهم تلاميذهم الأقربون، وخرجوا بآراء تخالف آراء شيوخهم الذين علموهم – في المسألة الواحدة – كما مر قبل قليل عن المذهب الحنفي، فانظر فيه نظرة عجلى تجد رأي الإمام، وبجانبه رأي تلاميذه أبي يوسف ومحمد بن الحسن وزفر بن الهذيل وحماد ابن أبي حنيفة، كلهم قد خالفوه، وأثبتوا آراءهم بجانب رأيه، دون توهم التطاول والإساءة.

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، واعف عنا، واغفر لنا، وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين. وصل اللهم، وبارك على سيد الأولين والآخرين، وآله، وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا

الدوحة في: 17 – 2 – 2003

حاشية:

من غرائب ما حصل بعد نشر هذه المقالة في (المنار الجديد) التي يصدرها الأخ الحبيب الأستاذ جمال سلطان في القاهرة، أن قرأها المستشرق الفرنسي الشهير جيل كيبل، الذي يتتبع الحركات الإسلامية، وطروحاتها، وكتاباتها، فجاء إلى الدوحة، وتواصل معي عبر السفارة الفرنسية، وزارني في مكتبي، وجلس معي ساعة كاملة، ممسكًا بقلمه الرصاص، مستمعًا ومناقشًا، لأكتشف أنه/أنهم يعرفون عن السلفية أكثر مني كثيرًا كثيرًا، بل أكثر مما يتصور أحد، وأنهم يحصون أنفاس العمل الإسلامي بشكل مدهش، وأن كل شيء مرصود، مدروس، يقدَّم لمواقع صناعة القرار حول العالم – وفي الداخل الإسلامي أيضًا – وتبنى على هذه الدراسات المتابِعة المريبة استشرافات للمستقبل، وسيناريوهات، وخطط، ويتوصل بها إلى نتائج، فالقوم لا يعبثون، ولا يتركون شيئًا للمصادفات، أو التخمينات، بل كل شيء عندهم محسوب مدروس، منظم.. فهل نتعلم!

حاشية ثانية

أحدثت ثورة 25 يناير انفجارًا في الأحكام والتطبيقات السلفية، فنزلوا بثقلهم للميدان السياسي والإعلامي، وآليات للتواصل الاجتماعي جديدة، مسلحين بكمية لا بأس بها من التعجل والارتباك، وقلة الخبرة الميدانية!

واستغل خصوم الإسلام ارتباك مشايخ السلفية، وقلة خبرتهم هذه، وعجْز هذه التيارات المتربصة بالإسلام عن الإيقاع بالإخوان بضربة تحت الحزام، فتفننوا – عبر وسائل دنيئة كثيرة يمسكون بأزِمّتها – في الزراية بالدين، والتهجم على الثوابت والرموز الشرعية، والإساءة للإسلام كله، خصوصًا أن السلفيين لم يعودوا كما كانوا، فصيلًا واحدًا راشدًا مهديًّا مسكينًا هادئًا، ولا يمثلهم وجه واحد، بل إن من المنسوبين للسلفية من لا يزال يسفه رموزًا سلفية رائدة مثل الشيخ محمد إسماعيل وزملائه في المدرسة السلفية العاقلة بالإسكندرية، وكالشيخ الحبيب محمد حسان، والشيخ الحبيب الواعي المثقف اليقظ حازم أبو إسماعيل!

ومقابل هذه الهجمة اللئيمة الضروس من قوم لد، لا يرقبون فيهم، ولا في متدين، إلا ولا ذمة، لم يكن كثير من الذين تحدثوا باسم السلفية أوائل الثورة على اقتدار كافٍ لـ(ملاعبة) ثعابين الفضائيات، الذين يتربصون بهم الدوائر، ويجهدون لتوريطهم، وضرب الإسلام كله بهم!

واستخدم أولئكم اللئام مخالبهم وأنيابهم وشاشاتهم، وألسنتهم الحداد، في الضرب على الدين كله، من خلال سلفية إرهابية افتراضية – في خيالاتهم المريضة – تشرب في الصباح الدم بدل الشاي، وتأكل لحوم الأطفال بدل الخبز، وتتلذذ بتعذيب النساء – خصوصًا الجميلات – ويتمتعون جميعًا بسحن شيطانية، وأشكال إرهابية، صنعها إرهابيو الإعلام، وذيول اليسار المنهزم! وانظر الكاريكاتير الآتي تعرف ما أقصد!

فيالله للحقيقة والإنصاف!

حاشية ثالثة:

من ألطف وأذكى أشكال تقديم الفكر السلفي – في زعمي – ما قام به نخبة من الشبان الناجحين في قراءة الواقع، القادرين على التواصل مع غيرهم بمهارة وفاعلية، أولئك الذين سموا أنفسهم سلفيي كوستا، وأعلنوا تواصلهم مع كل الاتجاهات، ونجحوا في مواجهة الاستفزازات، وردوا عليها بأشكال ظريفة، يفهمها الشبان المعاصرون، ويتأثرون بها، يبدأ ذلك من تسميتهم، مرورًا بأفلامهم القصيرة، ولافتاتهم، وتعليقاتهم، واستيعابهم الجيد للساحة، ومن ذلك ما سجلوه أثناء تجمعات ما بعد 18 نوفمبر 2011 حين كتبوا على موقعهم الإلكتروني:

نرجو من الشباب الكوستاوي الأصلي أن يخفي بوستات تهاجم أو تمدح أحزاب أو اتجاهات إسلامية أو ليبرالية، واقتصار البوستات على الآتي:

- فضح النظام.
- مناقشة سبل خدمة المواطن البسيط الذي يعاني من تدهور الأحوال.
- كيفية خدمة المرابطين في الميادين الذي أجمعوا (وأنا مختلف معاهم) على الانتخاب؛ لتفويت الفرصة أمام المجلس العسكري، وعدم شق الصف الوطني.
- طرح أفكار تقرب المصريين من بعض فكريًّا!
- توعية الأعضاء سياسيًّا و اقتصاديًّا ومجتمعيًّا؛ بدون الطعن أو التشكيك أو التسويق لأفكار أحد.
- طرح آرائك الشخصية في ظل إيمانك بالتعددية الفكرية!

ومما أعجبني من طرحهم، وتغير القراءة السلفية للواقع، ما كتبوه أيضًا على الموقع: تم مسح بوست أنا السلفية، الذي خاننا فيه التعبير، وهذا اعتذار منا. وشكرًا خاصًّا للشيخ ممدوح جابر لرقة نصحه وتواصله معنا؛ فهو الوحيد الذي لا يكل ولا يمل من نصحنا، وتذكيرنا بأخلاق السلف الصالح؛ برغم من تهورنا في بعض الأحيان!

جزاك الله خيرًا! يا ليت مذيعي القنوات الفضائية اللي بيتناولوا سلفيو كوستا أو غيرها من الحركات الشبابية التواصل والتعلم من الشيخ؛ فالإعلام أمانة وليس نِسب مشاهدة من أجل إعلان سمنة، أو دواء تخسيس من الأعشاب! ولا تعليق!

SALAFYO
COSTA
إحنا دايما إللى بنحاسب على
المشاريب
سلفيو كوستا

SALAFYO
COSTA
من سلفيو كوستا
إلى الفريق المنافس
نشكركم لحسن تعاونكم معنا
سلفيو كوستا

SALAFYO
COSTA
اسعـــار شعبيـة
فقـــع عيـــن ..... بتحصل في احسن العائلات
ام الشهيـــد ..... قلبي معاكي ياختي
شلل نصفـي ..... يا بخت من بات مظلوم ولا باتش ظالم
اداء الشرطة ..... Help yourself

COSTA COFFEE

أفكار غير سلفية:

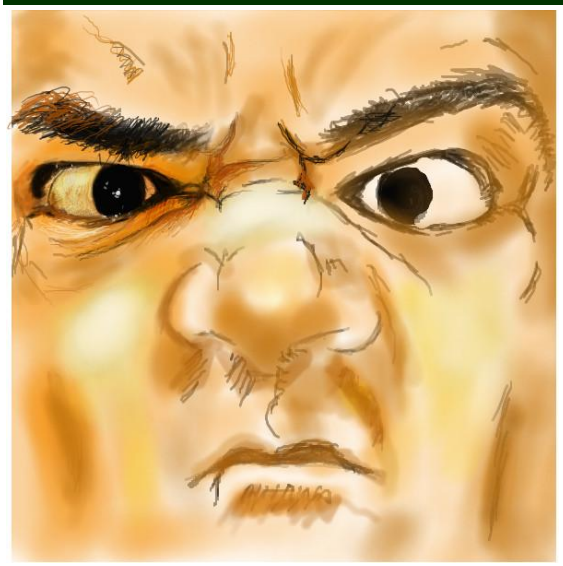

مر أنني أعتبر السلفية الراشدة قمة الأداء الإسلامي الحضاري، فهي اتّباع واعٍ، ويقظة وإبداع، وتركيبة فذة من الاعتقاد السليم، والقلب الرقيق، والعقل النبيه، واللسان العفيف، والدعوة الجليلة، والإنسانية النبيلة، والعذر الدائم، والصفح الجميل، ومد اليد للبشَر، وحسن الإخاء، ونبل القصد، وعلو الهمة، والزهد الحصيف، والبرهان القاطع، والشمول الجامع..

السلفية الراشدة إكرام للنفس، وحفظ للحق، وإيثار للآخر، واشتياق للجنة، وإعمار للدنيا، ونصح صادق، ودفع بالتي هي أحسن، وتقديم للدين على النفس..

السلفية الراشدة عشق للحرف، وحسن تقدير للكتاب، وتوقير للدليل، وتدبر وفهم، وإكرام للعلم والعلماء، ودعاء لمن علِم وعلّم، ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا حقًّا.

السلفية الراشدة تقدير للخلق، وبسط للوجه واليد، وحلاوة في اللسان، ومبادرة بالنفع، وإيمان بأن ما عند الله خير وأبقى، وأن عفة اللسان واليد أتقى وأنقى..

السلفية الراشدة تهاب المساس بدم المسلم، وعرض المسلم، ومال المسلم، وترى أن الرفق ما كان في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه، وأنه تعالى يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وأن المرء المسلم لا يزال في فسحة من دينه؛ ما لم يصب دمًا حرامًا، ولا يزال في عافية ما لم يلغ في عرض حرام، خصوصًا أعراض العلماء، وأهل العافية – بل وأهل البلاء – ويرى أن الله تعالى لن يعاقبنا على تأدبنا وحسن أخلاقنا، بل على بذاءة ألسنتنا، وسوء تأتينا!

السلفية الراشدة لا تصفق لظالم، ولا تدعم حاكمًا إرهابيًّا، ولا تناصر طاغية مجرمًا، ولا تعطي المشروعية لجبار عنيد، بل ترى أن أفضل الجهاد كلمة حق عند

سلطان جائر، فإذا رأت اعوجاجًا تكلمت، ونصحت، ورفضت، وبينت الحق للناس ولم تكتمه..

وإذا رأت كفرًا بواحًا، وعدوانًا على الدين صراحًا قالت لا، ورفضت، ونبهت، وقاومت، وأزالت المنكر باللسان أو باليد، بحسب الإمكان!

ولكننا... وآه من لكننا:

= = لكننا رأينا مدارس تنتسب للسلفية قد نصبت أنفسها رقيبة على الضمائر، منقبة عن القلوب، يسهل عليها – جدًّا – أن تبدِّع وتسفه، وتكفر وتفسق، وتقع في الأعراض، وتسب العلماء، فلم تترك داعية إلا ووصمته، ولم تدع عالمًا إلا وسبته، ولم تهمل تيارًا إلا ومن الدين أخرجته، وبالضلال رمته!

سلِم منها المرَقة، والطغاة، والمرجفون، والمضللون، ولم يسلم من ألسنتها الحفظة والدعاة والعلماء العاملون!

= = ورأينا مدارس ترفع الجبابرة والطغاة، وتحشم الذين بدّلوا دين الله، واستباحوا الأعراض والدماء، ولفقوا التهم للبرآء، وفسحوا للفسوق الأمداء، وفتحوا للاستباحة الأبواب، وأذلوا وقهروا العباد، وسُبَّ بمباركتهم الله تعالى، وأهين رسول الله الكريم، واعتدي على القرآن، واستكبروا في الأرض بغير الحق، وقالوا من أشد منا قوة!

= = ورأينا جهلة أشباه متعلمين، يتصدرون ويتكلمون، وما قرؤوا كما قرأ السلف، ولا استوعبوا كما استوعب السلف، ولا صبروا كما صبر السلف، ولا تخلقوا بأخلاق السلف، فلم يحصلوا إلا على النسبة، ولم ينالوا إلا الاسم، فأين البعر من الدر!؟

= = ورأينا منهم أناسًا وقفوا عند الشكل، واختصروا السلفية في المظهر، فلم يزكوا قلوبهم، ولم يهذبوا عقولهم، ولم يعفوا ألسنتهم، فصاروا كما قال القائل:

ويعجبك الطرير إذا تراه فيخلف ظنَّك الرجلُ الطرير

= = ووجدنا منهم إناسًا إقصائيين، يلغون من سواهم، ويرفضون من خالفهم، ويحجِّرون الواسع، ويضيقون التفكير، ويظنون أن بأيديهم مفاتيح الجنة، وأنهم ضمنوها، وأن غيرهم هلكى أبناء هلكى!

= = ووجدنا منهم أناسًا مهرة في السب، بارعين في التحقير، حداد الألسنة، قساة القلوب، وما تعلموا من منهج إمامٍ عفٍّ كالبخاري، وحريصٍ كالذهبي، وورعٍ كابن باز، بل إن الجرح – آسف: القتل المعنوي – أيسر على نفوسهم من شرب الماء، وأسرع على ألسنتهم من تنفس الهواء!

= = ووجدنا منهم أناسًا أرفق ما يكونون بالرسميين المنحرفين، وبالعلمانيين والمتطرفين اليساريين، فهم أعزة على..... وأذلة على.....!

= = ووجدنا لبعضهم قواميس في السب والعيب، والإهانة والتحقير، بل كتبوا كتبًا فرغوا لها هممهم، وبذلوا لها وسعهم، وأنفقوا على تنفيقها أموالهم، وما هي بعلم، ولا تقى، ولا برشد ولا هدى؛ بل أخشى أن يسألهم الله تعالى عن كل حرف فيها وكل جملة، وويل يومئذٍ للجرآء مستبيحي أعراض البرآء!

وحسبي في هذه المقام الإشارة لا العبارة، فلا أحتاج أن أذكر أسماء، ولا أعدد لافتات، ولا أحدد أحدًا؛ فإن الرب تعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء؛ فاللهم اغفر لنا ولهم، يا رب العالمين.

نماذج شائنة لخطاب منسوب ظلمًا للسلفية
أنقلها بأخطائها وخطاياها

الذي يجول في أنحاء الصحف، أو اليوتيوب، أو في الكتب السطحية المزجاة، يفزع من جرأة (بعض) منسوبي السلفية، واستسهالهم الطعن والسب، وارتفاعهم بأنفسهم إلى مستوى أئمة الإسلام العظام، فاقرأ بعض كلامهم معي وتحسر:

= = وخلاصة القول : فإن الرئيس محمد حسني مبارك – وفقًا للأدلة الشرعية – هو أمير المؤمنين في مصر، له حقوق الحاكم التي أقرها الشرع؛ ما أقام في مصر الصلاة، ومن نازعه في ولايته، أو خرج عليه، أو ألب الناس عليه، ففيه من الخوارج بقدر خروجه ومنازعته . والله أعلم !

= = وقال..... في تصريحات لـ«المصرى اليوم»، إن الخروج على المشير حرام شرعًا، وهو متمسك بتصريحاته وفتاواه السابقة،

وإنه يتمنى زيارة مبارك فى محبسه ليتبرأ من محاكمته!

وإنه لا يعترف بوجود ثورة فى مصر من الناحية الشرعية، بل نوع من الفوضى العامة، دون قيادة عامة، ولا فكر واحد. وأضاف أنه ما زال يدرس فكرة الترشح لرئاسة الجمهورية، حال عدم ترشح أحد أعضاء المجلس العسكرى، بشرط أن يكون فى الخدمة، لافتًا إلى أن الفريق أحمد شفيق هو المرشح العسكرى الوحيد الذى يمكن أن يتنازل له رغم خروجه من الخدمة!

= = قال .....: إبلاغ مباحث أمن الدولة عن معارضي مبارك فريضة دينية وواجب شرعي! وكان يدعو على المنابر لوزير الداخلية حبيب العادلي؛ معقبًا على اسمه بقوله: حفظه الله!

= = وكتب أحدهم:..... نقول: الله المستعان، الرجل خرج وأخرج كل ما في منهجه، وعقيدته الخبيثة للعلن، وأصبح يجاهر بأنه الرأس، أو أحد رؤوس الفتنة، أو ينطبق عليه بالمسميات الحديثة التي يحبها(الناطق الرسمي للفتن).

= = نعم؛ الناطق الرسمي للفتن، المتاجر بأرواح الكثيرين من المساكين، قطعه الله، وما ذكرته بحقه قليل بارك الله فيك!

= = وورع آخر يقول:..... بارك الله فيك يا أخ فلان... صحيح أن الأدب مطلوب، والسباب والقدح مرفوض من جهة الأدب، ولكن هذا الرجل بذّات (.....) يستحق أشنع الألفاظ وأقبحها؛ لما أنطوى عليه من الشر لأهل الإسلام!

= = الآن بالذّات فهمت لماذا قال الشّيخ مقبل رحمه الله عن ....: (الكلب العاوي) بل قال فيه أشدّ من ذلك، قال: أخشى أن يكون مدسوسًا على الإسلام. وسبب قوله الكلب العاوي في نظري – مما تُوضّحه هذه الأيام – هو أنّه خارجي، بل من دعاة الخوارج ! والخوارج (كلاب النّار) هذه فراسة العالم!

= = صدقت أخي فلان؛ فهو أخواني محترق/ صاحب منهج منحرف/ وسب السلفيين أبان ثورة (فوضة) الشباب المصري/ وهو يشجع على الفتن/ ولا يبالي بالدماء التي تراق/ وكذلك فتاويه الشاذة/ ونسأل الله أن يهديه أخيرًا!

= = قال الشيخ ..... سدده الله: الحدادية لهم أصل خبيث، وهو أنهم إذا ألصقوا بإنسان قولاً هو بريء منه، ويعلن براءته منه، فإنهم يصرون على الاستمرار على رمي ذلك المظلوم بما ألصقوه به، فهم بهذا الأصل الخبيث يفوقون الخوارج !

= = أنظر إلى الحق الذي معه.. فال..... من المفسدين في الأرض بلا منازع، وهو في المرتبة الأولى!

= = منذ أيام أفتى.... في مقال نشره على موقع الجمعية، وكرره في حوارات ولقاءات فضائية وصحفية بأن الدكتور محمد البرادعي– الوكيل السابق للوكالة الدولية للطاقة النووية، ورئيس الجمعية الوطنية للتغيير– والدكتور يوسف القرضاوي– رئيس الاتحاد العالمي للعلماء المسلمين– بأنهما من الخوارج، ودعا في المقال الذي نشره موقع الجمعية، قبل اختفاء الموقع نفسه لفترة، إلى قتل الدكتور البرادعي؛ إذا لم يتب عن دعوته للعصيان المدني، ورأى أن هذا الكلام ينطبق على القرضاوي إذا دعا إلى العصيان المدني!

ورأى..... في فتواه أن الدعوة التي أطلقها البرادعي للعصيان المدني – كنوع من المعارضة للنظام القائم في مصر للتغيير، ولتحقيق الديمقراطية – هي نوع من الخروج على الحاكم!

= = ونشر موقع (مزبلة) خبرًا بعنوان: قام الشيخ ..... بشراء وجمع معظم النسخ، من كتاب يفضح سيرته الذاتية والفقهية، أصدره الشيخ..... بعنوان" .....في العراء"، حيث طافت ميليشيا تابعة للشيخ ال..... على جميع المكتبات المصرية، وقامت بشراء جميع النسخ المتوفرة من هذا الكتاب؛ لحرمان القراء، ومنعهم من الاطلاع على الصورة الحقيقية له، والتي كتبها شيخ فاضل وعلامة من علماء الازهر هو الشيخ ..... والكتاب يقع في 370 صفحة من الحجم الكبير .....وتضمّن الكتاب سردًا كاملاً لجميع فتاوى ال..... التي فصلها لخدمة الشيوخ، وبعض الأثرياء العرب، وبعض السفارات الأجنبية في قطر، وبين الأغاليط فيها. ثم تناول الكتاب علاقة ال.... المشبوهة بأجهزة المخابرات العربية والدولية!

= = نشرتُ في "المصريون" مقالة أنتقد فيها قلة خبرة طوائف من الإسلاميين، وسذاجة بعضهم، وتسرعهم نحو العمل السياسي، دون دربة أو بصيرة، لأفاجأ بكتابات في موقع بعينه تضعني خارج الإسلام، وتجعلتي (مرتدًّا) لأني (استهزأت، وسخرت من الدين بسخريتي من سذاجة بعضهم، و....) وكان مما قاله عبقري منهم:

عرضت هذه الجملة: (سذاجة الإسلاميين) على دين الله عز وجل، فوجدتها كفر وردة، قال الله عز وجل: {ما يلفظ من قول لا لديه رقيب عتيد} وقال الله عز وجل: {إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون، وإذا مروا بهم يتغامزون}، وقال الله عز وجل: {ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون، لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم} وهؤلاء استهزئوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه! وقول القائل بإطلاق "سذاجة الإسلاميين" فهو تنقص من حملة الشرع/ وهو شامل للنبي صلى الله عليه وسلم/ وأصحابه/ وكل من انتسب للدين الإسلامي وأراد نصرته!

يا نهار أبيض؟ الرسول والصحابة وكل من انتسب... إيه!؟

= = وعلق آخر – بعد أخينا الموفق هذا مباشرة –: قال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله مفتى السعودية السابق: الاستهزاء بأهل العلم وأهل الخير، والهزل بالقران أو بالرسول، أو باسم من أسماء الله، كفر الهازل معلوم ،كما في آية براءة؛ فإن الهزل بالقرآن ولو هو(يتعير) بلغة العامة، أو بالرسول، أو بذكر اسم من أسماء الله في عيارته وهزله ؛لما فيه من التهاون بالله! ثم يتبع هذا المستهزي بأهل الخير والطاعة والعلم. وبعض أهل العلم ذكر أنه يكون ردة، إذا كان هذا ديدنه، أما كونه من أعظم العظائم ومن آية النفاق فظاهر. (تقرير)

وفي هذا المقدار كفاية، ليتضح الفرق بين السلفية الراشدة، والجنون الذين يقع فيه أشباه متعلمين، مضطربو الأفكار، ضعاف الأبصار، تائهو الأحكام!

السلفية الافتراضية (السايبر)

قلت فيما مر إن هناك قطاعات في المجتمع تكره الدين والمتدينين – بتياراته كلها، وشعائره جميعها، ورموزه كافتها – وتجهد في تقبيحهم، ووصمهم، والتلفيق لهم، واختراع حكايات وأقاصيص تنفر خالي الذهن من الدين وأهله:

فعل ذلك بوقاحة ومهارة وكثرة: القائمون على الأمن، وفعل ذلك إعلاميون، وممثلون، ورسامون، وكتاب! يساعدهم على إفكهم امتلاكُهم نواصي الإعلام، وتحكمهم في منابع الأخبار، وسيطرتهم على مقاليد الأمن، وتنسيق السادة المثقفين مع حبيب العادلي، وزبانيته من أفاكي الداخلية!

وكم خرجت أفلام، ومسلسلات، وأعمال، ورسوم، لا يمكن أن تخرج إلا بدعم وتنسيق، كراهة لشيء اسمه الدين، يمكنه أن يفضح اللصوص، والأفاكين، وباعة الأمة بتاريخها وقيمها وعقيدتها وأجيالها وحاضرها ومستقبلها!

ولعلي أشير هنا إلى بعض الحقائق حول السلفيين، لإيضاح البهتان في الصور التي يقدمها السادة المثقفون:

آثر التيار السلفي الراشد الابتعاد طوال عقود عن الإعلام، وعن السياسة، حتى ظهرت بعض الفضائيات التي ذاع من خلالها بعض الرموز السلفية.

لا يعرف عن التيار السلفي الراشد غير الدعوة في المساجد، والاهتمام بالتأصيل العلمي، على طريقتهم، التي يمكن أن تتفق معها أو تختلف.

ضُيق على رموز هذا التيار كثيرًا، حتى إنهم لم يقدروا في معظم الأحيان على الخروج من المدينة أو المحافظة، ومنع كثير من رموزهم من خطبة الجمعة، والمحاضرات العامة، فضلًا عن السفر للخارج؛ ولو للعمرة!

لم يعرف عنهم عنف، ولا تهديد، ولا مواجهة مع الأمن، بل – على العكس من ذلك – اتهم فئام منهم بالتعاون مع الأمن!

كان لهم موقف أقرب للسلبية من المشاركات السياسية والإعلامية.

كانت لهم مساجدهم وأنشطتهم الاجتماعية الصامتة الخادمة للناس.

والمعطيات السابقة تؤكد أن كل ما افترته الصحافة عليهم تلفيق وافتراء وكذب إعلامي مبين!

والراصد للإعلام المصري – الذي يفترض أنه طُهر من الأفاعي، ومن الأساليب (الواطية) في نقل الأخبار، يجد أنه ظل – كما كان – بئر نجاسة، وجحر أفاعٍ، ومباءة وسخة، لا تُحق حقًّا، ولا تعلي قيمة، ولا تنصر مظلومًا، ولا تخدم بلدًا أو شعبًا!

وسأقدم نماذج من وساخات الإعلام بعد 25 يناير لنرى كم النذالة والخساسة التي يتمتع بها (مثقفونا، وإعلاميونا، وحملة مشاعل التنوير بيننا) فاقرأ وتحمل حتى النهاية:

في تحقيق بعنوان: أبو جهـل يطـل برأسه، كتب شخص اسمه عزت السعدني:

ونحن نحاول جاهدين أن نبعد خفافيش الظلام عن ثورة الخامس والعشرين من يناير لتصل بقاربها إلي بر الأمان.. أطل علينا – في غياب العقل والتعقل والفكر والتفكر – برأسه الأشعث، وفكره الأغبر، ومكره الأسود أبو جهل من بين غيابات القرون ومتاهات الظنون!

وراح يخطب فينا بوجهه الغارق في ظلامات الجهل والجهالة، وبصوته الإبليسي المخادع، ونابه الأزرق الذي ينفث سمًّا وتخلفًا؛ وكأننا نفر من أتباعه وعبيده وقيانه وجواريه، من كفار قريش، في فجاج مكة!

لقد بدأنا مسيرة الجهاد المقدس: أقيموا الحد علي كل ذمي لا يدين بالإسلام.. ويرتكب إحدى المعاصي/ ارجموه أو اقطعوا أذنه/ ثم اتبعوني لنهدم أضرحة أولياء الله الصالحين.. وما هم بأولياء، وما هم بصالحين!

وهبّ الأتباع.. من كل صوب وحدب.. في ظل غياب مريب طال واستطال من رجال الأمن؛ ليقطعوا أذن قبطي في قنا/ أقاموا عليه الحد!/ وليهدموا ويحرقوا ستة دفعة واحدة/ من أضرحة السابقين الصالحين في قليوب.. ثم استداروا ليحرقوا ويهدموا ضريح سيدي عز الدين في مدينة تلا بالمنوفية/ حتى كادت النيران تأتي على الضريح ليصبح ركامًا تتصاعد منه ألسنة اللهب والدخان.. ثم استداروا إلى ضريح العارف بالله

سيدي أبو مشهور ببركة السبع، وضريح الرملي بدمنهور، ولما سألنا من الذي هدم ومن الذي أشعل النيران في بيوت يرفع فيها اسم الله؟ قالوا لنا: إنهم نفر من السلفيين! ونحن نعرف جيدًا أن شريعة السلف الصالح لا تقر اعتداء أو هدمًا أو حرقًا لضريح من أضرحة أولياء الله الصالحين في بر مصر كله؛ أو في أي بقعة من أرض الله!..... شوف الإنصاف!

وكتب وليد عبد الرحمن في الشرق الأوسط، بعنوان: جماعات سلفية تهدد بهدم أضرحة الأولياء الصالحين في مصر:

جرم مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر اعتداء بعض الجماعات السلفية على أضرحة الصالحين وقبورهم.

وشن الدكتور علي جمعة، مفتي مصر، هجومًا حادًّا على المعتدين على الأضرحة، واصفًا إياهم بالأوغاد والخبثاء، بينما دعت الطرق الصوفية إلى مظاهرة مليونية الثلاثاء المقبل احتجاجًا على هدم ما يزيد على مائة ضريح!!!

وكانت جماعات سلفية، في مختلف محافظات مصر، قد استغلت ملابسات رافقت قيام ثورة «25 يناير»، خاصة انسحاب الأمن من الشارع، وشنت حملة منظمة لهدم أضرحة أولياء الله الصالحين، وهددت بهدم مسجدي الحسين والسيدة نفسية بالقاهرة، باعتبارهما «شركا بالله، وأن المصلين في مثل هذه المساجد يقعون في الشرك».

وأصدر مجمع البحوث الإسلامية، برئاسة شيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيب، بيانًا، أول من أمس، أكد فيه تجريم وتحريم هدم الأضرحة، الذي يهدد البلاد والعباد ويضعهم في فتنة لا يعلم مداها إلا الله.

وقال المجمع: «هذه التصرفات محرمة شرعًا وعرفًا وقانونًا»، مناشدًا المسؤولين التصدي لهؤلاء المعتدين، وعدم تمكينهم من تحقيق أهدافهم.

وشن مفتي مصر هجومًا حادًّا على المعتدين على الأضرحة، واصفًا إياهم بالأوغاد والخبثاء، قائلًا في خطبة الجمعة أمس من الجامع الأزهر: «إن النبي، صلى الله عليه وسلم، حينما قال في حديثه، الذي يستدل به البعض على حرمة القبور في المساجد:... ووصف المفتي المطالبين بهدم الأضرحة من السلفيين بأنهم ليسوا علماء، مطالبًا من يتبعهم بالبحث عن شيوخهم وكتبهم التي قرؤوها والعلم المغشوش الذي تعلموه والمعلومات الفاسدة التي تلقوها.

وفي تحقيق بعنوان السلفيون: جناة أم مجني عليهم كتبت المصري اليوم في إهاب متدثر بالإنصاف، وهو مسموم، جاء فيه

.....: من جانبه، أرسل نجيب جبرائيل، رئيس منظمة الاتحاد المصرى لحقوق الإنسان، رسالة إلى المشير طنطاوى، أمس، أعرب فيها عن مخاوف الأقباط من تكرار مذبحة القديسين! متهمًا «السلفيين» بمحاولة اقتحام الكاتدرائية، والوصول إلى المقر البابوى. وقال إن هذه المحاولة «سابقة خطيرة لا يمكن السكوت عليها»، مطالبًا المجلس العسكرى بتقديم «السلفيين» إلى محاكمة عاجلة/ وأكد «جبرائيل» أنه ليس من حق السلفيين المطالبة بعودة كاميليا شحاتة، لأن الأزهر قد حسم هذا الموضوع، بالإضافة إلى انعدام صفة المطالبين بهذا المطلب، الذى وصفه بـ«غير المشروع».....

وقال الشيخ سيد زايد، عضو لجنة الفتوى بالأزهر، إن السلفيين لا يعبرون عن الوسطية فى المجتمع، لأن دعوتهم لهدم القبور والأضرحة، وقطعهم أذن شاب مسيحي، ليست دعوات حكيمة، وإنما فوضى لابد من وقفها بسرعة، مضيفًا أن «السلفيين الحقيقيين» لا يرفعون السلاح، ولا يهدمون الأضرحة.....

وعلى بوابة الوفد الاليكترونية كتب عباس الطرابيلي تحت عنوان: السلفيون.. وليلة خومينية في مصر:.....

وهل يصبح الشيخ حازم صلاح أبو اسماعيل هو خوميني مصر! الذي يحرك كل المصريين الآن من خلال الميكروفون، ويقفز على السلطة كما كان الخوميني يحرك الايرانيين من خلال خطبه في شرائط الكاسيت؟!

لقد تهيأ لي أول أمس وأنا أتابع خطبة الشيخ حازم في ميدان التحرير أنني أمام خوميني جديد! ولكن في مصر هذه المرة.. ولما كانت إيران هي أكبر دولة في غرب آسيا، واستطاع الخوميني أن يسيطر عليها، من خلال الشعارات البراقة ضد فساد الحكم الشاهنشاهي للشاه رضا بهلوي.. فإن مصر هي أكبر دولة في شرق أفريقيا.. وبالتالي يستطيع السلفيون أن يقفزوا على السلطة فيها.. ولا يهم هنا المذهب الديني شيعي هناك أو سني هنا.. المهم هو مقاعد الحكم!

وفي الموقع السعودي المنبطح المخزي إيلاف، وتحت عنوان: طموحات السلفيين وهزيمة الدولة المصرية كتب جوزيف بشارة:

السلفيون خطر داهم على مصر التي تمر اليوم بفترة عصيبة من تاريخها، فترة لا نعرف إن كانت انتقالية أم أنها تمهيدية لمرحلة أسوأ. السلفيون يهزمون الدولة المصرية مرات ومرات كل يوم من دون أن يهتم أحد بمواجهتهم بالحزم اللائق. هم لا يريدون أن تكون مصر دولة مدنية يتساوى فيها الجميع أمام القانون. السلفيون يريدون أن تعود مصر إلى الوراء أربعة عشر قرنًا من الزمان إلى عهد صدر الإسلام. هذا هو معنى كلمة سلفي. لا يريد السلفيون للمسيحيين أن يبقوا في مصر، هم يؤمنون أن وجود المسيحيين "الكفار" في بلاد المسلمين لا يتم إلا في عصور الجاهلية. بالطبع هم لا يريدون عصور الجاهلية، هم يريدون عهد صدر الإسلام الذي لم يكن لغير المسلمين فيه أي وجود. هذه رؤاهم التي يريدون تطبيقها عمليًّا في مصر والتي سينجحون في تطبيقها إن لم يضع المجلس العسكري الحاكم حدًّا لهذه الطموحات وغيرها من الطموحات الشريرة التي تعشش في كل ركن من أركان مصر اليوم.

وفي تلك المزبلة ذاتها كتب محمد الحمامصي: هل سيسقط السلفيون مكتبة الإسكندرية ويحولونها إلى مسجد؟ وقال:

تواجه مكتبة الإسكندرية معركة شرسة من قبل المتأسلمين وعلى رأسهم السلفيين، لإسقاط دورها التنويري الذي استطاعت خلال السنوات الماضية أن ترسخه في المجتمع المصري عامة والسكندري خاصة، حيث بدا من خلال تصاعد الأحداث التي يحرض عليها سلفيون احتضنتهم بعض إدارات المكتبة، وفقًا لقانون العمل، ومنظومته داخل المكتبة.....

وبعد استعداءات وتحريض ختم المثقف المنصف مقالته بقوله: إذن ما الذي يجري؟ وما هذا الصمت المغرض والمتآمر؟ يبدو أن العمى لن يكتفي بالمجئ بالإسلاميين إلى سدة حكم مصر، بل سيهدم قلاعها التنويرية، ويدفعها إلى ظلام التاريخ!

وكتبت اليوم السابع – بعنوان: شيخ الأزهر يستقبل "القبطي" الذى قطع السلفيون أذنه بقنا – خبرًا لم يشر بعد ذلك للسلفيين جاء فيه:

أدان الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب، شيخ الأزهر، حادث الاعتداء الذي تعرض له المواطن القبطي "أيمن ديمتري" في قنا، وهجوم بعض الأهالي بمحافظة قنا عليه، محذرًا من تحول تلك الأحداث العارضة إلى فتنة طائفية تهدد أمن وسلامة الوطن ووحدة المصريين! (المهم العنوان المثير)!

وفي موقف علماني متطرف آخر اسمه حركة مصر المدنية كتب أيمن عبد الرسول بعنوان: السلفيون وجع في قلب الإسكندرية، يقول:

يا وجعي على الإسكندرية، مدينتي المنسية، مهد التنوع الثقافي، والوعي بالتعدُّدية، مدينتي التي علمتها الموانئ أن الأرض يرثها من عباد الله الطيبون، ولا يتحكم فيها المتسلفنون وهم المتلوِّنون، وإذا كان حزب "الظلمات" قد قام بتحجيب تمثال في ميدان جانبي، فعليه أن يقوم بدوره الظلامي حتى نهايته، أن يحجب أرصفة الشوارع التي تشهد تكسير الزجاج ليلة رأس العام، وأسفلت الطرقات الذي يمشي عليه العشاق والسكارى الذين ضاقت بهم الأرض بما رحبت، وأن يحجب البحر حتى لا يثيرنا رذاذ يوده المنعش بثورة جنسية، وأن يحرقوا مكتبة الإسكندرية كما أحرقها أسلافهم الأولون من مسلمين وأقباط!! وأن يلقوا بالكتب في البحر تحديدًا فوق المدينة الغارقة "راقودة" لأن الأصنام التي أنتجتها الحضارات التي وصفها كبيرهم

"الشحات" بالعفن تسكن قاع البحر هناك، وعليهم وفقًا لبرنامجهم الانتخابي أن يحجبوا الشمس في الشتاء لأنها تدفئ أجساد النساء في بيوتهن، وتجعلهم أكثر طمعًا في المودة والحميمية، وعلى دعاة السلفية أن يغلقوا المقاهي التي تقع على الكورنيش، نظرًا إلى ارتيادها من قِبل مفطري رمضان، وأن يحجبوا التمثال الكبير القائم مقامه أمام مكتبة الإسكندرية الجديدة، لأنه فاضح، والأدهى أن أحدهم أقام خلفه مقهى ومطعم، يشكل ملاذًا آمنًا للعشاق الذين يملكون ثمن خلواتهم العاطفية، وبعدما حذروهم بالرسم، وهو حرام في مذهبهم على أحجار الصد لموج البحر من وضع يد العاشق على كتف معشوقته الحلمية، التي لاذت بالبحر من محطات الترام، بل وعليهم أن يحرقوا الترام، وقطار أبو قير، وأبو قير نفسه لأنه ذُكر في كتاب المجون التراثي المجنون والمتزندق "ألف ليلة وليلة" وأن يحرقوا علم مصر لأنه لا يحتوي على لفظ الشهادتين، وأن يحرقوا قصور الطواغيت، ويعلنوها كحلفائهم الدمويين في ليبيا إمارة إسلامية، ولينتظروا مثلهم مساعدات الناتو في قتل كل من تسوِّل له نفسه الأمَّارة بالخسارة، أن يقول لهم: يا وجعي على الإسكندرية!.....

قمة الرجولة، والنبل في الخصومة... ما شاء الله!

وفي جريدة اسمها الموجز كتب أحدهم يقول: السلفيون يهددون باغتيال البابا شنودة:

حالة من القلق والتوتر أصابت جموع الأقباط داخل الكنيسة القبطية وخارجها بعدما نزلت الجماعات السلفية بكل قوتها للشارع، وإطلاقها للعديد من التهديدات للأقباط بمحاربة «النساء المتبرجات».....وأضاف صديق أن تحركات التيار السلفي حتى الآن ترمي إلي العنف؛ فقد بدؤوا بهدم الأضرحة، لافتًا إلى أن السلفية ستكون بابًا خلفيًّا للعنف السياسي؛ خاصة في ظل بعض الانتقادات التي يوجهها السلفيون لبعض الأمور في المجتمع، وكذلك في ظل وجود رؤية خاصة بهم تتعلق بنظام الحكم. وأضاف صديق أنه يخشي أن تتحول السلفية من مرحلة اعتناق الأفكار الدعوية إلي اعتناق الأفكار الجهادية ضد الدولة والأقباط.

أما كمال غبريال المفكر القبطي فيري أن الجماعات الإسلامية وعلى رأسها التيار السلفي قد تلجأ لنوع من العنف القوي مع الأقباط خلال الأيام القادمة، لافتًا إلى أن بوادر هذا العنف قد ظهر جليًّا في مطالبتهم بضرورة الإفراج عن كاميليا ووفاء، المحتجزتين داخل أسوار الأديرة. وكشف غبريال عن تخوفه من تعرض البابا شنودة لأي نوع من التهديدات بالقتل من قبل تلك الجماعات، في حالة تمسكه بضرورة احتجاز الاثنتين داخل الكنيسة، بعد أن كشفوا عن نيتهم عبر مواقعهم الإلكترونية، بمحاربة نساء الأقباط المتبرجات.

http://www.hurras.org/vb/showthread.php?34628-%CE%C8%D1-%DB%ED%D1-%D5%CD%ED%CD-%DC%DC%DC-%C7%E1%D3%E1%DD%ED%E6%E4-%ED%E5%CF%CF%E6%E4-%C8%C7%DB%CA%ED%C7%E1-%C7%E1%C8%C7%C8%C7-%D4%E4%E6%CF%C9

وفي اليوم السابع جاء: مفتى الجمهورية – ربنا يخلي فضيلته – يدعو الله بقطع أيدى وأرجل من يحاول هدم ضريح الحسين.. ويؤكد:

هدم الأضرحة خروج على الدين، والمحرضون عليه أصحاب علم "مغشوش" وشن فضيلته هجومًا حادًا على من قاموا بهدم بعض الأضرحة فى عدد من محافظات الجمهورية، مشيرًا إلى أن "أفعالهم خروج على الدين والعقل والإنسانية".

هذه عينة لا تساوي واحدًا من ألف من الهجوم على الإسلام والمتدينين أجمعين، ممثلين في التيار السلفي..

وقد أريد بها تحقيق نوع من الإنعاش لجهاز أمن الدولة، واستعادة بعض الجلادين والتمكين لهم..

وبرهاني على هذا أن الوفد نشرت مقالًا مهمًّا جدًّا حول السر في هذه الحملات السافلة على الدين والمتدينين في 29 نوفمبر 2011 بعنوان: محاولات جديدة لإنعاش خطط أمن الدولة

..... الجانب الإعلامي فرض نفسه باعتباره "أوكسجين" حقيقيا لإنعاش الخطط الأمنية التي كان يتبناها نظام الرئيس مبارك، وبحسب مصادر صحفية فإن 8 من رجال الأعمال البارزين في الحزب الوطني، والمتورطين في قضايا فساد، أبرموا صفقة لتمويل

موقع الكتروني شهير، بعد هروب ممولة الرئيسي نجل صفوت الشريف، رئيس مجلس الشورى المنحل.

الصفقة يتم بمقتضاها حجب أية أخبار تكشف ملفات الفساد التي تورطوا فيها، ونشر أخبار تصب في صالحهم، فضلًا عن إطلاق حملة كبيرة تستمر طوال الشهور المقبلة حتى حلول انتخابات مجلس الشعب، لتشويه صورة الإخوان والسلفيين، وتصيد الأخطاء لهم وتهويلها، بهدف تفزيع المجتمع من انتخابهم، والندم على نظام مبارك الذي نجح في قمع تلك التنظيمات.

الحملة يقودها "رئيس تحرير" كشفت مكالمة تم بثها مؤخرًا على موقع اليوتيوب تورطه في علاقات مع أمن الدولة، وقد أصدر لفرق العمل قائمة بعدد من رجال الأعمال، يحظر نشر أخبار تسيء إليهم، كما كون خلية صحفية لنشر أخبار تحريضية للإثارة والتشويه، واستفزاز تلك التيارات للإقدام على عمل يدينها، وجاءت عناوينها كالتالي:

- "السلفيون يبدأون غزوة "هدم الأضرحة" من قليوب"
- وضحية قطع الأذن بقنا "أهبل" لقبوله التصالح!
- وبالصور.. شيخ الأزهر يستقبل "القبطي" الذى قطع السلفيون أذنه بقنا..
- والسلفيون يمنعون أعضاء "الغد" من التصويت.
- السلفيون تحرشوا "لفظيا" و"جسديا" بالمعارضين للتعديلات..
- الإخوان والسلفيون يستخدمون المنتقبات للحشد فى الاستفتاء".

الحملة تشمل أيضًا إحداث حالة من الرعب في الشارع، من خلال ترويج شائعات عن التهديد بـ:

استهداف السيدات القبطيات وغير المحجبات ومن ترتدين البنطال بسكب ماء النار على وجوههن!

وتطبيق الحدود ضد من لا يصلي أو يسب الدين!

وإلزام الرجال بإطلاق اللحى إذا وصل الإخوان للحكم!

ومنع التليفزيون والمصايف وإلغاء السياحة ودور السينما ودوري كرة القدم!

وهو ما وجد آذانا صاغية من البعض، في ظل حالة التفزيع التي تواصلت على مدار الأيام الماضية..

ويشارك فيها إعلاميون وصحفيون وفنانون ورياضيون كانوا الأكثر تربحًا من نظام مبارك.....

ونقلت الصحيفة عن هربرت زيم – نائب رئيس وكالة الحكومة الألمانية، والتي تحتفظ بملفات ستاسي – تأكيده "إنه رغم تنحي الرئيس السابق حسني مبارك منذ شهر ونصف تقريبًا، ما يزال جهاز أمن الدولة القوي، والذي ساعد على حماية حكم مبارك مدة 30 عامًا، من خلال التسلل عبر كافة مظاهر الحياة المصرية قائمًا، ولم يختف بعد"!

وهو تصريح يحمل مضمونًا خطيرًا لم يعلق عليه حتى الآن وزير الداخلية الجديد!

خطط الإنعاش الجديدة – أمنيًّا وإعلاميًّا – يؤكدها بقاء كثير من قيادات جهاز أمن الدولة في نفس مواقعهم، واستمرار التنصت على المصريين من خلال وسائل تجسس وأجهزة متطورة لم يتم رفعها حتى الآن، فضلًا عن تجديد الثقة في عدد من القيادات الصحفية المعروف ولاؤها لجهاز أمن الدولة وللنظام السابق، وتكثيف محتوى ما يصفه البعض ببرامج "الأمن شو" لتفزيع المصريين من التغيير القادم، وفرض الوصاية الفكرية عليهم، ودفعهم للتباكي والندم على رحيل مبارك.

الله يكون في عونكم أيها المتدينون المصريون..... ولا تعليق

والآن لنطل إطلالة على الفجور الفني ضد الإسلاميين عبر الكاريكاتير

إطلالة على الفجور الفني ضد الإسلاميين أجمعين عبر الكاريكاتير

لهؤلاء اليساريون اللد ثأر طويل مع الإسلام، ولدغ مسموم تفننوا فيه وبرعوا، وحذقوا أساليبه الشيطانية، بينما الدراويش لا يزالون يعانون (عنة) فنية، وإعاقة إعلامية ولغوية كاملة، تحول بينهم وبين التواصل الجيد مع الجمهور الذي يحتاج نور الحق، وهداية الدين، وصدق الخطاب، وحرص الغيور.. فانظر إلى بعض السم الناقع:

مع الأعتذار لأحمد السقا

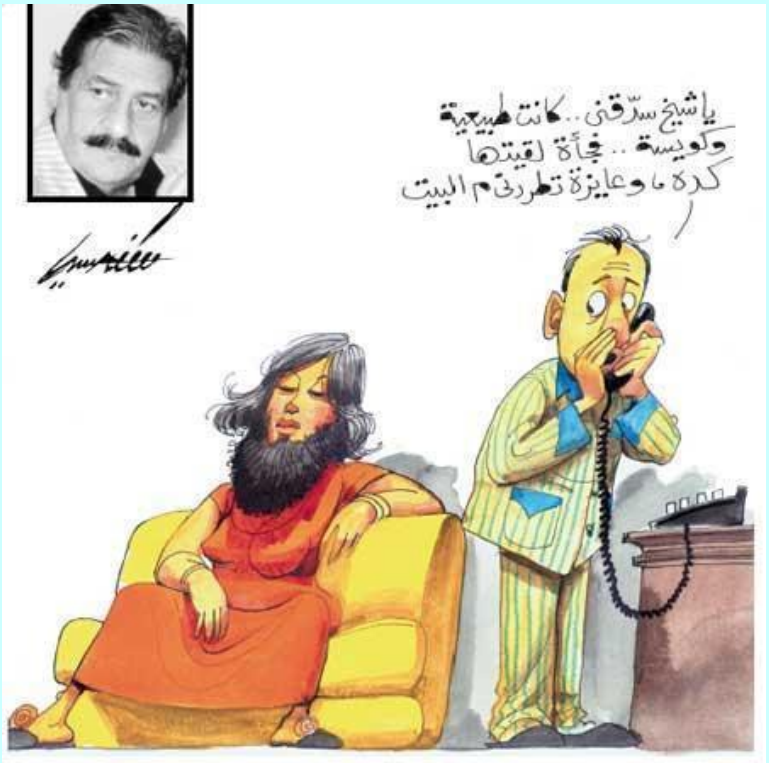

تداعيات ثورة ٢٥ يناير

النقاب الذي يكشف العينين منكم .. ان العيون التي
في طرفها حَوَر .. قتلتنا ثم لم يحيين قتلاها

انتخبوا .. المرشحة
المحظورة
الرمز الأنتخابى
انتم عارفين أنا مرشحة نفسى
عن إيه .. مبقى اكشف لكم وشى ليه ؟
ولا حتى بعد ما اكسب الانتخابات
ح اوريكم وشى .
K

• قناه سلفيه : كل من ينتخب البرادعى .. يحارب الله ورسوله •
بيشتغلوا فى قنوات دينيه !!
المنافقين فى الآخره بيبقوا فى الدرك الأسفل من النار.. طب فى الدنيا ؟

• فى حالة تولى أخ من الاخوان رئاسة الجمهورية •
سيدة مصر الأولى
سيدة مصر الثانية
سيدة مصر الثالثة
سيدة مصر الرابعة

أحدث منتجات الشركة ..
عملنا الشاشة بالطول
علشان تجيب دقن
المذيع بالكامل !
التليفزيون عام ٢٠١٤

مصر تحت حكم الأخوان المسلمين
ودى يا مدام أحدث
مجموعة أزياء حاليا
فى البلد
K

◆ ضبط أكثر من ١٥ حالة لرجال يرتدون النقاب فى أماكن عامة ◆
حرام عليكوا ... إتعمينا ...
القهوة إللى فى آخر الشارع
فيها حاجة إسمها مبولة !!
عبد الله

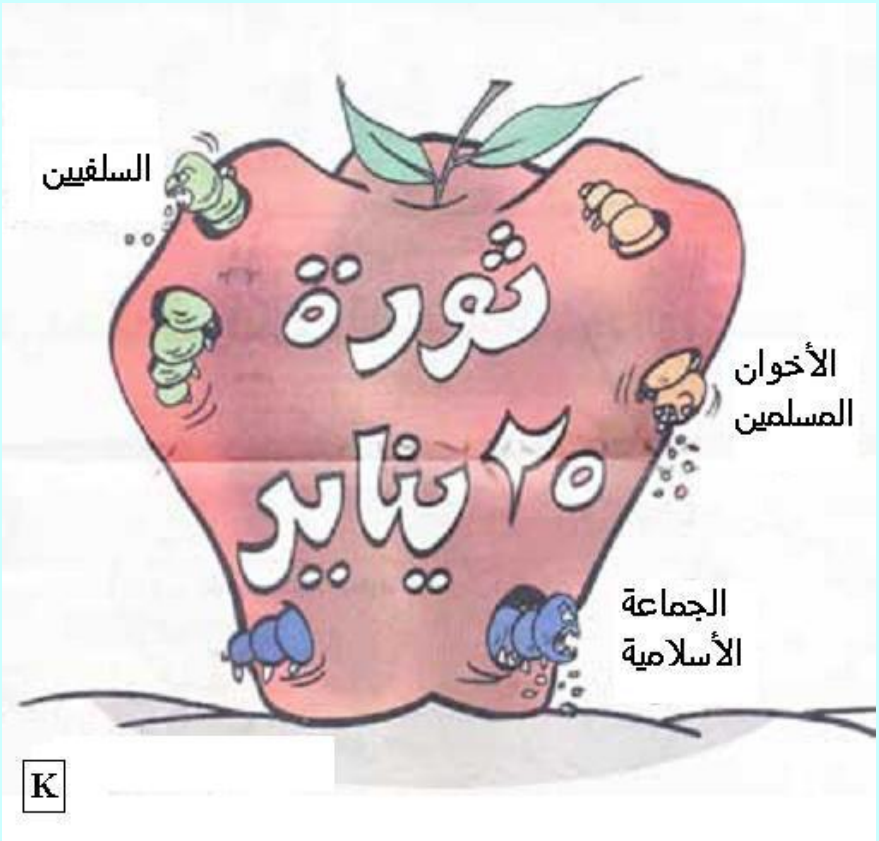
السلفيين
ثورة
٢٥ يناير
الأخوان
المسلمين
الجماعة
الأسلامية
K

لقاء مع طالب طب من الاخوان
سؤال اخير الاكلة المفضلة لك ؟
انا احب قوي الفاصو..احب قوي الباميه.. شوفي من الاخر انا اكل حسب راي اولي لامر من الجماعة

في أوضاع شاذة
في ميدان التحرير!!!

الإخوان: نحن منتظرون حتى تبدأ الأمور في الانهيار ثم نقدم خدماتنا

الإخوان يلعبون بالديمقراطية

أنا عملت إيه .. سيبونى .. ما ترمونيش فى النار
لاااااااااااااااااااااااااااااااااا
الحُكم :
مُذنب
علمانى
من
ضحاياه
سلفى إخوانى

الإخوانى والسلفى : شكلك كده مريب أكيد انت
كافر عشان كده هاقيم عليك الحد

إمارة فرنسا الإخوانية السلفية

نعم

للمبادئ

الحاكمة

للدستور

حرام عليكم يا إسلاميون

أرجو ألا أكون متجنيًا، ولا مسيئًا لأحد، حين أقول إن قطاعًا لا بأس به من الإسلاميين تائه لا يعرف ما يريد، ولا يحسن تحسس ما يدور حوله، ولا يقدر الأخطار التي تحيط به.

وأزعم أن قطاعًا منهم لا بأس به مندفع متحمس – لأسباب متعددة – وأن حماسته غير منطقية، ولا راشدة، بل هي عاطفية تحتاج إطارًا من العلم الشرعي، والتجربة، وحسن قراءة الواقع.

وأزعم أن قطاعًا ثالثًا يتلذذ بالمراوحة في مكانه، دون أن يفكر في خطوة إيجابية مدروسة ينتقل بها من حالة (محلك سر) بل من سرطان (محلك تجمد) إلى فن الانطلاق، والتحليق، إلى فن قراءة الواقع، واستشراف المستقبل.

أزعم هذا لأني رأيت كثيرين يرتبطون بعمل إسلامي ودعوةٍ ومظهرٍ، مدة ربع قرن أو يزيد، ثم يبقى تفكيرهم هو هو، وعمرهم العقلي هو هو، وسلوكهم الديني هو هو! دون تقدمٍ لأمتار أو أشبار، ربما بسبب التكوين العقلي، ربما بسبب البناء المعرفي، ربما بسبب غياب الشيخ المعلم، وربما بسبب أنهم لا يعطَوْن الفرصة ليتبلور فكرهم، وتنضج تجربتهم، وتتضح رؤيتهم!

وأزعم أنه كثيرًا ما تنطلق دراسة في فن ما، تُعد أساسًا لعلم من العلوم، تتحول – عندهم – إلى نص ملزِم، لا يفكر قراؤه في نقده، ناهيك عن تجاوزه، أو حتى نسفه عند اللزوم!

وبمثل هذا التفكير لا تنهض الأمم، ولا يحصل التغيير، ولا ينطلق الخيال المبدع، وربما كان هذا أحد الفروق بيننا وبين طريقة تفكير العقلية الغربية، التي تقفز دائمًا إلى الجديد، ولا ترضى بالمراوحة مكانها، ليظلوا في حالة من الهُيام والظمأ العلمي الدائم، واللهاث المحموم نحو الجديد، والاستشراف لآفاق غير مطروقة، آفاقٍ لا تسلم بالثبات بسهولة، ولا تحب المراوحة والتجمد في مكان وزمان واحد.

وقبل أن يساء فهمي أقول إنني لا أقصد – في النقطة الأخيرة – لافتة بعينها، ولا تيارًا بذاته؛ فمعظم الإسلاميين في الهم شرق، يصابون بالتكلس والجمود، إذا طال بالفكرة الأمد عقدًا أو عقدين، فتصير كأنها السُّنة المحكمة، من يناقشها، أو يتخطاها يكن جريئًا متجاوزًا؛ سواء في ذلك أتباع المذاهب القديمة المتبوعة، أو أتباع الدعوات المعاصرة المقموعة!

كما أنني لا أجرؤ على مجرد التفكير – وأعوذ بالله – على الإساءة لثابت من الثوابت، أو رمز من الرموز، أو معلوم من الدين بالضرورة، أو كتاب من الكتب المرتضاة، المتلقاة بالقبول، ولا أجرؤ على الاقتراب من هيبة إمام أو محدث أو فقيه، من المعتبرين في تاريخ الأمة أو حاضرها؛ لأنني ربيت على توقيرهم، والاعتزاز بحبهم، بل والتدين بحبهم..

وهذا التحفظ يُلزمني – بمنتهى الوضوح – أن أُخرج من زعمي الأخير ثوابت الأمة، ونصوصها، وأصولها العامة، والمعلوم من دينها بالضرورة، فهذه عندي لا تراجع عنها، ولا أرى لأحد حقًّا في الافتئات عليها؛ وإن كانت هناك أمداءٌ للتشقيق، والتأمل، والاستنباط، وترديد النظر، والزيادة، تناسب الزمان والمكان والحال، ليس هذا مجال بسطها، وهي موجودة في كتب الأصول، والفتوى، وفي دراسات كثيرة، مثل الثوابت والمتغيرات في العمل الإسلامي لصلاح الصاوي، والعقلانية لعبد السلام البسيوني، وغيرها..

ولكنني أعني الفروع، والاجتهادات الفردية، وطرق عرض الأصول، ولغة الكتابة، ومناهج التعليم والتعلم، وآليات التوصيل، ومدى علاقة العالم والفقيه والداعية بالواقع، وقدرته على قراءة المستقبل..

وبالمثال يتضح المقال:

دائمًا ما أضرب مثلًا في الفقه بما تطرحه الكتب، من تقسيم الطلاق إلى قسمين: صريح وكنائي، فالصريح ما كان بأحد الألفاظ القرآنية الثلاثة التي وردت في كتاب الله تعالى، للدلالة على حل عرى الزوجية، وهي الطلاق والفراق والسراح، ليكون ما سوى ذلك من الألفاظ كنائيًّا، نحتاج معه إلى سؤال الزوج المنفعل: ماذا قصدت بألفاظك، وذلك مثل قول بعضهم لزوجه: حبلك على غاربك، والحقي بأهلك، وأنت حرة، وأمرك بيدك، وما شابه..

ولكني هنا أسأل: أيقول أحد لامرأته؛ في زمن العجمة والاغتراب الذي نعيشه: أنت سراح، أو حبلك على غاربك، أو اختاري لنفسك؟

أم إنه يقول لها: (اخفي ف ستين داهية؟ غوري؟ انقلعي داهية ما تردك؟ عليّ كذا ما انت بايتة فيها) وما شابه؟

فهل هذه الألفاظ المنتقاة (العصرية) كناياتٌ تحتاج إلى تأمل، وإلى استبطان للزوج، وبناء الأحكام على رده، أم إنها كلام يهدر، ولا يعد من الكنايات، ولا تنبني عليه أحكام؛ لأنه لم يقل لها: حبلك على غاربك، أو اختاري لنفسك، كما ورد في كتب سادتي الفقهاء عليهم رحمات الله ورضوانه؟

انقل هذا إلى دراسات التفسير، والحديث، والفقه، والدعوة، وإلى الأدب الإسلامي بآفاقه، والفنون (التي تقع في إطار المشروع) على تنوعها، وإلى الإعلام، والخطبة، ودروس المساجد، والبحث والمناظرة، ناهيك عن علوم – إلى حد ما جديدة – كعلوم الإنسان والاجتماع والنفس والمعلوماتية وغيرها؛ بما تفتقت عنه الأذهان من آليات جديدة نحن أحق بها وأهلها،

ونحن نتعامل مع هذه الآفاق في الغالب، دون مبادرة، ودون مناقشة، ودون محاولة للتشقيق والإبداع فيها، مع غلبة خوف بعضنا، وتوجسه من الجديد، ومبادرته برفضه، والضرب عليه، ووصمه!

ولا شك قارئي المبارك أنك تندهش معي لسعة آفاق ساداتنا السلف رضي الله عنهم، والأئمة المعتبرين، الذين كانوا في حالة تألق عقلي دائم، واشتعال ذهني، ونقد مستمرّ!

حالة تأصيل عجيبة، لم تمنعهم أن يرحبوا بالخلاف، وضرب عرض الحائط بآرائهم إن خالفت رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو جاء ما هو أقوى منها، بل جعلتهم يقسّمون الأصول إلى متفق عليها ومختلف فيها، وكان من المختلف فيه: إجماع أهل المدينة، والإجماع السكوتي للصحابة، وقول الصحابي!

تصور: إجماع الصحابة سكوتًا، وقول الصحابي من الأدلة المختلف فيها، ونحن نضع رأي شاب من المحدثين أحيانًا موضع (النص) القرآني!

تصور قارئي الكريم أنهم يقبلون الخلاف إلى هذا المدى، ثم نجْمُد نحن أمام رأي فقيه، أو مفسر، أو مفكر، ونعطي لهذا الرأي ما نعطي الكلام الذي أحكمت آياته ثم فصلت!

والحق أننا والعصر في نبأ عظيم، فكما كان في السابقين من حرّم القهوة، وفسّق من يقتني مذياعًا (راديو) رأينا في السبعينيات من يحوقل، ويتهم فلانًا في مروءته؛ لأنه يقتني جهاز فيديو، ورأينا في سنة 2000 من يبدّع أخاه لأنه ارتكب موبقًا مهلكًا، فتسمعه يقول: تصور؟ دا عنده إنترنت؟

وتسمع مثيله يهتف: يا خبر، الأخ فلان حاطط دش!

يا نهاري: دا موصل كيبل!

هنا تقع المفارقة التي تحتاج إلى نوع تأمل، ثم معالجة ومواجهة، وإلا خسرنا المزيد من المواقع والفرص، وخُنّا متطلبات المرحلة، ووسعنا جراح الأمة مهيضة الجناح، وتعرضنا لمساءلة العليم الخبير..

وسأحاول هنا أن أقدم بعض النواحي التي يقع فيها التوجس من الجديد، والمراوحة، وتكريس مفاهيم غير مقدسة، دعت رجلًا علمانيًّا متطرفًا مثل محمد أركون، في طروحاته المتهورة، إلى الحديث عن الركام الفقهي من أقوال الرجال، الذي أضفينا عليه قداسة ليست له، وصرنا نمر بها، مسلّمين مطأطئين، دون أن نحاول درسها، ونقدها، وتعميقها، وتوظيفها، والانتقال بها إلى آفاق أرحب، ومعالم أكثر ثراء وخصوبة:

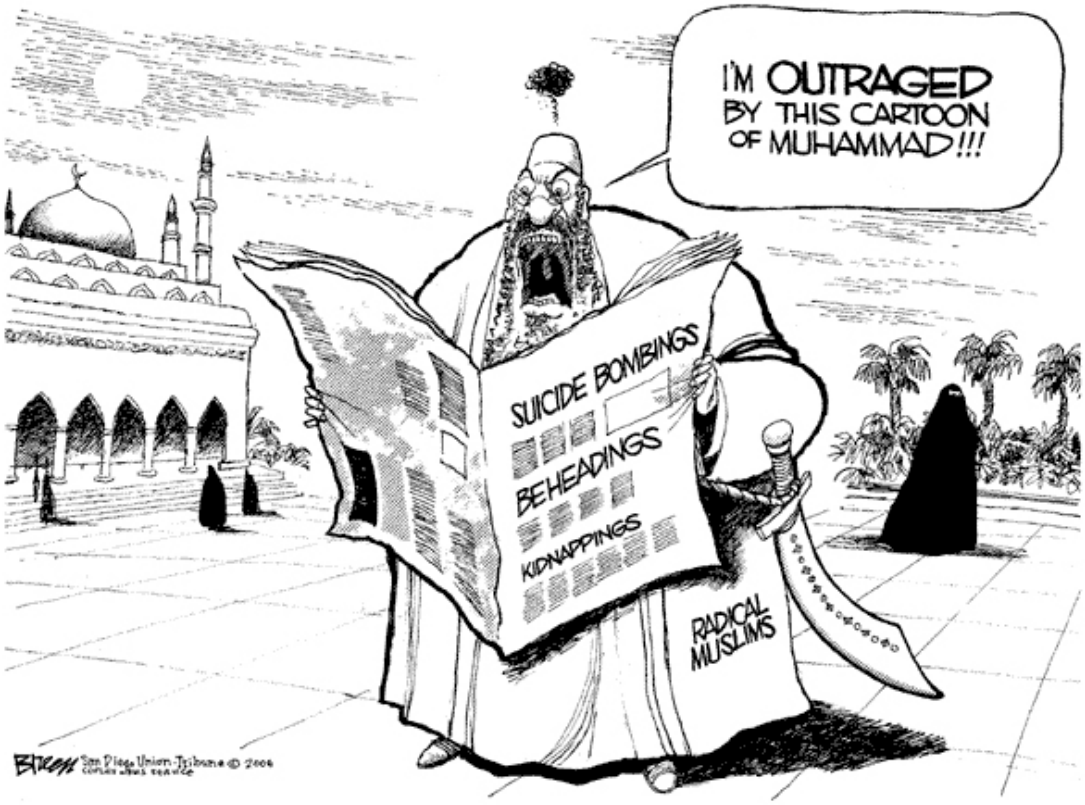

أولًا: في جانب العقيدة:

يسود في الطروح العقيدية السائرة بين الإسلاميين أحد اتجاهات رئيسة:

أ: الاتجاه الاعتزالي وقريب منه الأشعري* الذي ينتشر في مساحات واسعة من العالم الإسلامي، خصوصًا في الأزهر جامعة ومعاهد، ويعتمد لغة جدلية عقلية – قامت في مواجهة طروح فلسفية يونانية وهندية – لا تسيغها الذهنية المعاصرة ولا تتفاعل معها، إضافة على المآخذ التي توجه لهذا التفكير في التعامل مع الذات العلية، والصفات السَّنية، والنبوات، والقدر، وغير ذلك، مما تحويه كتب المتكلمين؛ خصوصًا في الأجيال التي باعد الزمن بينها وبين نقاء الإسلام وبساطة عقيدته، وما ترتب على هذه المدارس من غلو في إعلاء العقل على النص، عند الفلاسفة، وإخوان الصفا ومن شابههم؛ ممن قالوا بالفيض، والعقل الفعال، واكتساب النبوة!

وأتصور أن هذا الاتجاه بدأ – إلى حد واضح – في التقلص، لأسباب كثيرة، وبدأت سهولة العقيدة السلفية تغزو العقول؛ لأنها أبسط وأيسر، ولا تحتاج تقسيمات ذهنية وتجريدية كغيرها.

ب: الاتجاه السلفي الذي يجرد العقيدة من التعقيدات الكلامية، ويردها إلى بساطتها ونقائها بشكل كبير، لولا أن الدارسين – بسبب ارتفاع أسماء بعض العلماء في الثلاثين سنة الأخيرة، كالعلامة الشنقيطي وابن باز وابن عثيمين والألباني وغيرهم، ممن كانوا رموزًا للسلفية العلمية الوسطية المعاصرة – رحمهم الله أجمعين – ظلوا غالبًا يدورون في إطار كلام شخصيات محدودة، وفَلك كتب قليلة: دعوةً، وشرحًا، وبسطًا، واختصارًا، ونظمًا، وتعليقا، وتحقيقًا، وتشريحًا، وترجمة؛ حتى تحول كتاب ككتاب التوحيد – على اختصاره الشديد، وطبيعة لغته – إلى ما يشبه النص الملزم الذي يقدَّم للعامي، والمتعلم، والعربي، والأمريكي، والباكستاني على السواء – دون تفكير جاد في طرح هذه العقيدة الصحيحة بلغة أقرب لفهوم المعاصرين وألسنتهم وأحوالهم ومستوياتهم الحضارية والعلمية، أو

وأنا في تجربتي الشخصية، وحين أحببت أن أكتب في العقيدة على نحو جديد قبل أكثر من عشرين عامًا، تلمست كتبًا للإسلاميين تتأمل الواقع العقيدي المعيش، وتحلل السلوك العقيدي اليومي للناس، وتعرضه على العقيدة الصحيحة، فعجزت، وكان أن لجأت لكتب علم الاجتماع، والأنثروبولوجيا، والسير الشعبية، والفلكلور، وكلام (صبيتة الموالد) لأجد تطبيقات ميدانية كثيرة ومتنوعة، استفدت منها في دراستي عن الألوهية في العقائد الشعبية على ضوء الكتاب والسنة، والتي رحب بها – فيما شوفهت – عدد من رموز السلفية الوسطية كالشيخ صفوت نور الدين، والشيخ الشوادفي، والشيخ بخاري عبده، رحمهم الله تعالى، وكالدكتور محمد إسماعيل حفظه الله تعالى وغيره من المشايخ الذين قرؤوا هذا الكتاب، وغيرهم كثير من الشباب الذين قبلوه، ورأوه طرحا جديدًا يحتاج الدعم والاستمرار فيه، وجمل كثيرة منه تناثرت بعد ذلك على المواقع الإلكترونية، وطرح باسم عدد من المشايخ، على أنه من طرحهم.

وهو الذي ينكر أو يتأول العلو، والاستواء، والرؤية، والشفاعة، وكرامات الأولياء، ونفوا صفات الله تعالى أو تأولوها، وأنكر بعض معاصريهم المغيبات، كالجن والملائكة، وعذاب القبر، وأخذ عنهم الأشاعرة بعض القبسات، وإن مان الإمام أبو الحسن الأشعري رجع عن مقولاته في الصفات، وفي كلام الله تبارك وتعالى، فارجع إلى الإبانة ومقالات الإسلاميين، ومعارج القبول ج 1 – لتقرأ موقفيه.

هل هناك تضارب وسوء أداء؟

وأزعم – إضافة إلى ما مر – أنه ينبغي أن تكون هناك وقفات أمام بعض الشروح أو الفتاوى الشديدة؛ محافظة على يسر السلفية وبساطتها، وغلبة التيسير والتبشير والتحبيب عليها!

فالمتأمل يجد الطرح السلفي الأول جميلًا، حبيبًا، يسيرًا، مبشرًا: (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن/ إن هذا الدين يسير../ من قال لا إله إلا الله دخل الجنة/ أمتي أمة مرحومة/ حدثوا الناس بما يعرفون: أتريدون أن يُكذب الله ورسوله/ أعتقها فإنها مؤمنة/ دعي عنك هذا وقولي غيره/ لو أعلم أنه يغفر له لو زدت عن السبعين لفعلت/ أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله؟/ لا يقال إن محمدًا يقتل أصحابه/ الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة/ لا نكفر مسلمًا بذنب ما لم يستحله/ الله أكبر إنها السنن؛ لقد قلتم..../ ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به)!

أليست هذه الملامح السمحة والقواعد المبشرة من طروح السلف الصالحين؟

فما هو الحال الآن؟

أمام هذا اليسر الشديد والرؤية المرنة من سيدي البشير النذير صلى الله عليه وسلم، وسادات الصحابة والتابعين، وفي زمن الضعف والاهتراء والتزييف والتخييل، والعلماء الذين يحضرون الموالد، ويحيون البدع، قد يأتي العامي بشيء لا يدري كنهه، يفعله من باب المجاملة، أو الحياء، أو حق الجار، أو ما شابه، فتصدر فتاوى شديدة، يمكن أن تقرأ كثيرًا منها في الأعياد والمناسبات غير الإسلامية، وفي التهاون في الصلاة، وأحيانًا في لبس البنطلون، والغناء، وشرب السيجارة، وفي ضبط المنبه على الاستيقاظ بعد وقت الصلاة، بعضها يحمل عبارات نارية من مثل: فاسق، منافق، لا يرث ولا يورث، ولا يغسل ولا يكفن ولا يدفن في مقابر المسلمين!

الله أكبر! معقول هذا!؟ وأين الحكم بعد إقامة الحجة؟

وأين العذر؟

وأين (فتبينوا)؟

أين البيان؟ وما معنى ليبين لهم؟

فإن قيل: البيان قائم، قلت: أروني؟ دلوني، أثبتوا أن البيان قائم أمام هذا الطوفان من التزييف، ومن الاجتهاد والجلَد في تغيير فطر الناس، وعقولهم وثوابتهم بأيدي الإعلام المعاصر وبعض المضلين ذوي الجلد، والدأب في ترويج بدعهم!؟

وهل يقوم بيان حقيقي بمثل هذه الطريقة، وهذه اللغة، وهذه الطروح؟

آسف إذا قلت إنها غير عملية – بغض النظر عن صوابيتها أو شدتها – وتحتاج إلى كثير من التطوير، وتأمل الواقع والتعامل معه، وتوظيف القواعد السلفية في تطويره وتطهيره من الخرافات، والبدع، والشركيات.

ت: الاتجاه الصوفي الإشاري الذي لا يضع نفسه في قوالب ومرجعيات يمكن الاحتكام إليها، بل تمرد بشدة – تحت عباءة الباطن، والتأويل، والإشارات – على الانضباط المرجعي، خصوصًا وأن آلياته في الفهم تعتمد وسائل غير منضبطة بنص أو عقل، أو قواعد ضابطة، ولا يمكن قولبتها، وتقعيدها، مثل الذوق، والوجد، والإشارة، والمنام، والجذب، وما شابه!

وأنى لهذه أن تكون مضبوطة بنص، أو عقل، أو هدًى، أو كتاب منير؟

لذا فإنك قد تجد منهم من يسخر من علمك (الورقي) الذي لا يبلغ ساحل ما يزعمه (علمه الخِرقي) ليسب، ويفحش، ويسيء، فإذا اعترضت قيل لك: اسكت يا جاهل؛ فإن من اعترض انطرد!

وتجدهم يتواجدون، ويذوبون حين يسمعون مثل: اكفر اكفر اكفر (فالكفر عندهم هو عين التوحيد) أو: وما الكلب والخنزير إلا إلهنا – تعالى ذو الجلال والكمال والإكرام والحلم – أو حين يروون – بإعجاب وانبهار – سخافات علي وحيش، والدباغ، وابن عربي، والحلاج، والسيد البدوي! (راجع: هذه هي الصوفية للداعية البليغ الشيخ عبد الرحمن الوكيل رحمه الله تعالى).

وهذا الاتجاه ينتعش ويعلو في أزمنة الضرار، وبين مفكري الضرار، ومثقفي الفتنة الذين يتمثلون في زماننا في أدعياء لم يقرؤوا من الإسلام خمس ما قرؤوا ماركس وسارتر وإليوت وإلتوسير، فتشبعوا بما لم يعطوا، وزعموا الاجتهاد في الدين، وعادوا

يطالبون بحرية قراءة النصوص على طريقة: اكفر اكفر اكفر، ويرون ذلك إبداعًا، واجتهادًا، وتطويرًا للخطاب الديني، وخروجًا على النصوصية والسلفية!!

ث: الاتجاه المقارن ويعنى بالمذاهب والتيارات، بالملل والنحل، لكنه لا يهتم كثيرًا – خصوصا في كليات الشريعة وأصول الدين – بالمذاهب والتيارات المعاصرة؛ قدر ما يهتم بالتيارات القديمة، ويقرر على طلابه الخوارج الأزارقة، والكلابية، والكيسانية، والصفرية، والسالمية، والكرّامية، والإباضية وغيرهم، لكنه لا يعنى كثيرًا بعبدة الشيطان المنحرفين، وأشكال الخوارج المعاصرين، والإرجاء في ثيابه الجديدة، والمدارس العنيفة – اختيارًا أو اضطرارًا – والخارجين عن السلفية الرشيدة الذين بدؤوا ينحون بها مناحي التجميد أو التكفير، ومدارس العقلانية المتطرفة، ودراسات (مجتهدة آخر الزمان) الذي يبيحون كل ما حرم الله تعالى، تحت مسمى إعادة قراءة النصوص، والحداثة، والاجتهاد، والعصرنة، وغير ذلك من المصطلحات المزوقة الكذوب، كأن هؤلاء لا علاقة لهم بالعقيدة، أصل أصول الإسلام!

إن هؤلاء لم يستلفتوا النظر، ولم تأخذ طروحاتهم في التبلور عند كثير من المهتمين بالدراسات العقيدية إلا قبل نحو 20 سنة حين بدأ بعض الشبان من جيل الثمانينيات – بحكم اصطدامهم بغياب الدور الفاعل للعلماء آنذاك، واتجاههم إلى كثير من التفرد، والاستقلالية الذهنية – إلى تأمل ما كان يطرحه محمد عمارة (في ثوبه القديم) والعشماوي، وحسين أحمد أمين، والشرقاوي، والجابري، والطيب تيزيني، وخليل أحمد خليل، وعبد الهادي عباس، ونوال السعداوي، وأدباء الحداثة، والدارسون غير الأصلاء للتراث الإسلامي.

وأحس هؤلاء الشبان بثغرة يمكن النفاذ منها لضرب الإسلام، فبدؤوا يكتبون، بعضهم – بحكم السن وقلة الخبرة – بشيء من التوتر والعنف اللفظي، وآخرون بشيء من الهدوء والمنهجية والتوازن، لتطفو أسماء جيدة أثبتت نفسها بعد ذلك، مثل صلاح الصاوي، وجمال سلطان، وسلمان العودة، وأبو إسلام أحمد عبد الله، والعبد الفقير، وليظهر منحًى جديد، وجيل من الشباب جديد، له استقلاليته الكاملة، ورؤيته الحرة، وله سبقه في تناول العقيدة من زوايا جديدة نسبيًّا؛ بكلامهم عن العلمانية،

والعقلانية، واليسار الإسلامي، وحماية التراث، والغلو والتكفير، والولاء والبراء، والحاكمية، وما شابه، وإدراج ذلك في إطار الكلام عن العقائد السلفية والمقارنة.

لكن القضية تحتاج إلى مزيد من البلورة والتقعيد، وامتلاك الجرأة على الانفلات من إسار كتب وطروحات هي في ذاتها مباركة، صحيحة المضمون، مرتضاة، لكنها – في زمننا – تحتاج إلى تيسير وإضافات وإعادة تناول!

تحتاج القضية إلى قراءات معاصرة تتأمل واقع الناس، وتعذرهم، وتقرب إليهم الاعتقاد النقي السمح الميسر..

وإلا بالله عليك قارئي الكريم، هل يصبر عامي في دراسات الشريعة – ولو كان أستاذًا في كلية الطب الآن – على قراءة الطحاوية، ومعارج القبول، وفتح المجيد، وتيسير العزيز الحميد، ناهيك عن تصديرها كما هي للقارئ الأوربي والأميركي بلغتها، وأمثلتها، وطريقة تصنيفها (وهذا واقع فعلًا، ولقد رأيت ترجمات كثيرة لها بنحو سبعين لغة!)!؟

إن الشاب الإسلامي قد يصبر على قراءتها، بحكم استقامته على منهج، ورغبته في معرفة دينه، واعتياده لغة الكتب الإسلامية.. لكن ما نسبة الشباب الإسلامي في الأمة؟ هل هو أكثرها؟ هل هو نصفها؟ ربعها؟ خمسها؟ عشرها؟

فكيف إذن لا نهتم بمجموع الناس، ونقدم الإسلام لهم – غضًّا كما أنزل – وكيف أتجاهل لغة هؤلاء؟ وحاجات هؤلاء، وصواب هؤلاء، وأخطاء هؤلاء؟

أولم نطالَب بتيسير الذكر، ومحادثة الناس بما يعرفون؛ لنبين لهم كما أفهمنا الله تعالى؟

خلاصة الأمر عندي أن العقيدة الصحيحة تحتاج منا إلى ثورة جديدة لتقديمها، وتحرير واقع الناس على ضوئها، ومخاطبة العباد بما يفهمونه، وما يستوعبون معه أس الدين، وأخطر أبواب الجنة أو النار (التوحيد والشرك)!

هي ثابتة، في قواعدها، وأركانها، وأدلتها – إلى حد كبير – لكن هل هي ثابتة فيما سوى ذلك؟ هل صار كتاب التوحيد كتابًا مقدسًا متلقًّى من الأمة بالقبول كالصحيحين!؟

إن دراسات العقيدة تحتاج إلى ثورة في اللغة التي نعرضها بها، وثورة في المنهج، وثورة في آليات التقديم والأوعية التي نيسر بها مفاهيم الألوهية والربوبية والأسماء والصفات والحاكمية والتوسل والولاء والبراء، والنبوات، والغيب،وغيرها!

تحتاج إلى ثورة في الموضوعات والمصادر والميادين..

لقد كان الأئمة الذين قعّدوا لتقسيمات العقائد – ومنهم ابن تيمية وابن عبد الوهاب – ثوريين متمردين على مواضعات قومهم وزمانهم، فأصّلوا، وقعّدوا، وشققوا، وجددوا، وأضافوا، وفي مقابل ذلك عانوا وجوبهوا، بل بُدعوا وكُفروا..

ثم جئنا نحن لنقسم السلفية إلى عشر سلفيات، دخلت بالكثيرين في أطر من التجميد، والتكفير، والسب اللاذع، فصار عندنا مدخلية ومقبلية وطحانية وحدادية وسرورية! وصار عندنا – صدقًا أو ادعاءً – سلفية (جهادية) عنيفة محاربة!

وبات بعضهم يفارق بعضًا على الأعمال: هل هي شرط صحة أم شرط صحة؟

وبات بعضهم يكفرون المتأولة، والعلماء، والمخالفين! جئنا لنجمد على المناهج، ونحنط الكتب والطروحات، ونجعلها من المعلوم من الدين بالضرورة، حتى تباعد الناس عن يسر الاعتقاد، وسماحة الطرح النبوي الرشيد!

فهل هذا معقول؟

من صور فجور الخصوم:

ثانيًا: في الدعوة إلى الله تعالى:

درج الباحثون في دراسات الدعوة إلى تقسيمها إلى دعوة فردية وأخرى جماعية، ويوردون مزايا كلٍّ، وضوابطها، وثمارها، وآلياتها (انظر كتب الدعوة التي ألفها أبو زهرة، وعبد البديع صقر، والبيانوني، وإبراهيم زيد الكيلاني.. وغيرهم).

لكنني لم أجد – فيما قرأت في الدراسات الدعوية – من يتحدث عن القسم الثالث الأهم من أقسام الدعوة، الذي هو أساسٌ، وغاية من غايات بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، وأعني به *الدعوة العالمية!*

وهل بعث محمد صلى الله عليه وسلم للأفراد والجماعات الصغيرة، أم بعث – من أول الأمر – للعالمين؟

ألم يرسِل صلى الله عليه وسلم قبل موته للأمراء والملوك والأكاسرة والقياصرة؟

ألم يقل بأبي هو وأمي: بعثت للأحمر والأسود؟

ألم يكن حوله في جماعة المؤمنين الأولى الحبشي والرومي والفارسي والعربي، والمملوك والمرأة والطفل، ثم ينطلق أصحابه – رضي الله عنهم – ليموتوا في أرجاء المعمورة؟

ألم تُدفن سيدتي أم حرام رضي الله عنها في قبرص، وسيدي أبو أيوب الأنصاري في استانبول، وآخر الصحابة موتًا (الحارث الزبيدي) في مصر!؟

ألم يدفن التابعون متناثرين في أرجاء المعمورة آنذاك؟ وينقلوا معهم دعوة عالمية دخلت بها الأمم دين الله تبارك وتعالى راغبين أكثر مما دخلوها راهبين؟

فأين حظنا الآن من الدعوة العالمية، تقعيدًا وتأصيلًا، وبيانًا للضوابط والمحاذير؟

أين منا توصيف الآليات، والمناهج، للاستفادة المثلى من الوسائط المعاصرة مثل الفضائيات، والشبكة العنكبوتية، وإذاعات الإف إم، ومحطات الكيبل؟

أين الإسلاميون من إنشاء قنوات فضائية ذات رؤية، ومنهج، وتقنية، وكوادر واعية بصيرة، متمرسة، تحب الله ورسوله؟

قد يقول قائل: هناك قنوات ومواقع وبرامج وأشخاص يقدمون، وقد يقول: هناك مساعٍ!

وسأقول له: حرام عليك؟ فين؟ وريني؟

أهذه المشروعات التي تموت قبل أن تولد؛ لأننا نعطيها من فضول الأوقات والأموال والهمم؟

هل مواقع الإنترنت هذه تجذب 1/ 1000 مما يجذب موقع مثل ياهو أو مايكروسوفت أو AOL أو ألتا فيستا أو لايكوس، أو ماشابهها؟

وهل لغتنا وطريقتنا إلا لغة يطرحها إسلاميون للإسلاميين؟

أم تقصدون هذه المواد التلفازية الحيية غير الجذابة في مضامينها وديكوراتها وضيوفها ومقدميها؟

وعلى افتراض قوة من يقدمون ذلك ويعدونه: أتتاح لهم الفرص لتقديم برامج مميزة لافتة بديكوراتها، وتمويلها ونوعية ضيوفها؟

إن ديكور برنامج ترفيهي قد يبلغ في مساحته 20 أو 30 أو 100ضعف ديكور برنامج إسلامي وميزانيته وفنييه والعاملين فيه، ولا ينبئك مثل خبير!

آسف على هذه الاستطرادة، لكن هل كُتبت دراسات مناسبة حول الدعوة العالمية، ووسائلها، ومناهجها، ومزاياها، ومحاذيرها، وخصائص القائمين عليها؟

لقد سألت أحد أكبر الرموز الدعوة في القرن العشرين ذات يوم من عام 2000: هل أعد العمل الإسلامي كوادر تصلح لمواجهة تحديات القرن الميلادي الجديد؛ بمصاعبه، ومطباته، فحلف على الفور: لا والله، ولا واحدًا!

وأكبر التحديات في اعتقادي: هي المعلوماتية، والغزو الفضائي لأمة الإسلام، والدعوة الإلكترونية العالمية، التي تحتاج آليات جبارة، ورؤوس أموال هائلة، وأشخاصًا قديرين متميزين دينيا وعقليا ودعويا،

فهل نقبل التحدي، ونعيد حساباتنا، وننطلق انطلاقة جديدة بصيرة رشيدة، أم نواصل مسلسل (ليس في الإمكان أبدع مما كان) ونقول مثلما قال الأولون: الله يهديه، دا عنده فيديو! ونخذل إسلامنا، وعقيدتنا، وأبناءنا، وأجيالنا؟

من صور فجور الخصوم:

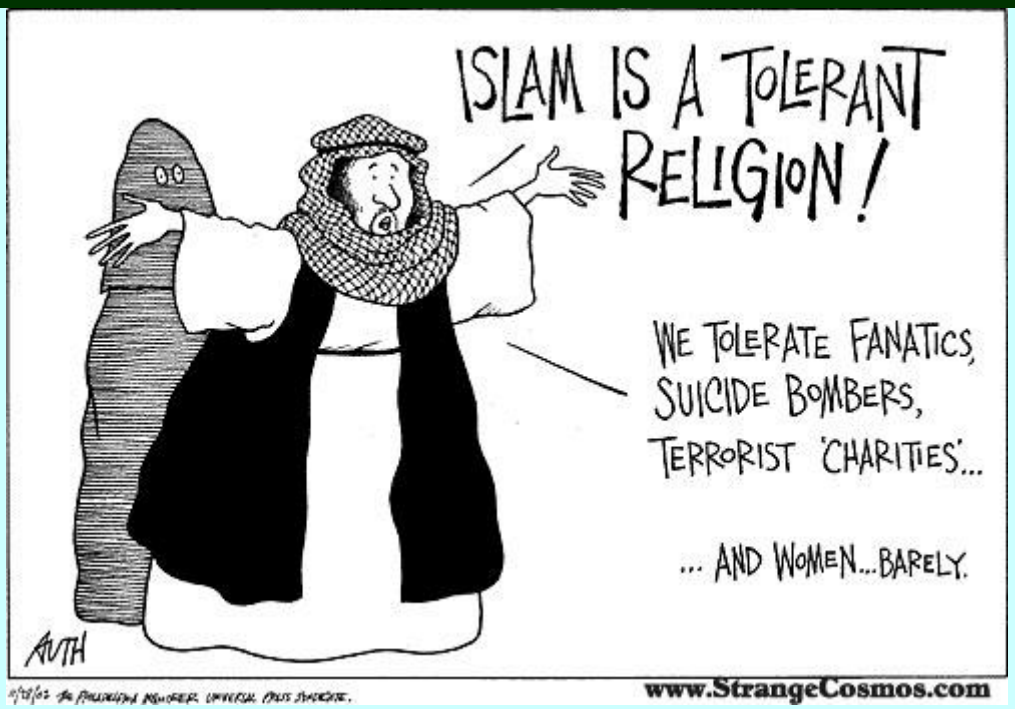

ثالثا: واستشراف المستقبل فريضة مغيبة

وبقدر ما أندهش من واقع المسلمين الأولين، وحرصهم على توقع ما سيكون، وتأمل الأحداث لاستشراف المستقبل، بقدر ما يصيبني الانكسار والإحباط لغياب الدراسات التي تدرس الواقع الحالي، وتوظّف الماضي لتتأمل المستقبل، وتراه بعين العقل الرشيد، والبصيرة المؤمنة!

أندهش حين يقول القرآن للمسلمين أول عهدهم المكي، في حرب الروم والفرس:

(وهم من بعد غلبهم سيغلبون)،

وأندهش حين يقول صلى الله عليه وسلم – وهو مهاجر، ليس معه إلا الله تعالى نصيرًا – لسراقة رضي الله عنه إنه سيلبس سواري كسرى!

وأندهش وهو صلى الله عليه وسلم يبشرهم بفتح خيبر، والشام، والقسطنطينية!

وأندهش – جدًّا – لدقة سيدنا عمرو ابن العاص حين يشخص عدوه، بمنتهى الوعي والدراية، بعد أن حدثه أحد الصحابة أنه لا تقوم الساعة إلا والروم أكثر الناس، فيقول له عمرو رضي الله عنه: أبصر ما تقول! قال: أقول ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال عمرو رضي الله عنه:

لئن قلت ذلك، إن فيهم لخصالًا أربعًا:

إنهم لأحلم الناس عند فتنة

وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة..

وأوشكهم كرةً بعد فرة..

وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف..

وخامسة حسنة وجميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك!

أرأيت إلى هذا التشخيص الدقيق العجيب؟

أرأيت إلى هذه الرؤية الثاقبة؟

أندهش من إصرار جيوش المسلمين على فتح القسطنطينية – الجيش بعد الجيش – ثقة بوعد رسول الله صلى الله عليه وسلم!

لكنني أندهش – حتى الذوبان – حين أقرأ رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم لواقع الأمة، وعدم استفادتنا من هذه القراءة النبوية الدقيقة، وكأننا لا نسمع ولا نرى ولا نحس!

وكأنه صلى الله عليه وسلم ليس الصادق المصدوق!

ألم يقل لنا صلى الله عليه وسلم إن الأمة ستفترق؟

ألم يقل إنه يخشى علينا التنافس على الدنيا فتهلكنا كما أهلكت من قبلنا؟

ألم يقل لنا إن الأمم ستتداعى علينا، ونحن كثير غثائيون زبد؟

ألم يخبرنا أننا سنضرب في مقتل، بمرض خبيث اسمه الوهن: حب الدنيا وكراهية الموت؟

ألم يقل لنا صلى الله عليه وسلم إن عرى الإسلام ستنقض عروة عروة؟

هاهو الداء مشخصًا، وها الدواء معروفًا بينًا، فلماذا نستسلم للمرض؟ لماذا الاستسلام للفرقة، والجهل، ونقض عرى الإسلام، والوهن القاتل؟

لماذا ندع الأمم تتداعى علينا؟

لقد كان فقهاؤنا في غاية التوفيق، حين كانوا يتوقعون، ويتصورون أشياء يمكن أن تحدث – مهما بدت لمن بعدهم غريبة – ليقدموا لها الحلول، ويعرضوها على القواعد، ويحلّوا بها المشكلات، ككيس الفساء الذي يحمله الإنسان – وكم كنا

نسخر من هذا؛ جهلًا واستعجالًا وقلة فهم – ثم رأينا بالفعل مثل ذلك في المستشفيات (من يحملون أكياسًا تجمع البول من مرضى الكلى).

ولقد نجح الآخرون في قراءتنا، وتأملنا، وتوقع ردود أفعالنا، والتيقن من حدود استجاباتنا، وبناء على هذه القراءات، خططوا ونفذوا ونجحوا مرات: نجحوا في القراءة، ونجحوا في التوقع، ونجحوا في التنفيذ، ونجحوا في قطف الثمار، واكتفينا بالبكاء على الأطلال، وإطلاق الرثائيات، وذكر الأمجاد، وسب الناس بعد أن (أودوا بالإبل).

لقد صح أن اليهود قرؤوا الدنيا والمنطقة في القرن الفائت، ونفذوا خططهم العشرية، والخمسينية، والمئوية، بشكل باهر ومعجب، منذ اجتمعوا في بازل، سنة 1897 فقرروا إقامة دولتهم بعد خمسين سنة، وأقاموها!

وقرروا فرض إرادتهم على الدنيا خلال مائة سنة وفرضوها!

وكانوا كل عشر سنين يخطون خطوة كبيرة في سبيل تحقيق خططهم منذ هذا التاريخ، واقرأ واقع أمتنا سنين: 1907 – 17 – 27 – 37 – 47 – 57 – 67 – 77 – 87– 97، وسترى أن القوم تأملوا وقرؤوا وخططوا ونفذوا، ثم عادوا وجلسوا مرة ثانية – وقد نشرت الصحف ذلك – فخططوا للقرن القادم..

فأين نحن من هذا كله؟

متى نقرأ واقع الإسلام، ونشخص العلل بدقة، ونخصص قطاعًا من العقلاء لعلاجها، والتصدي لها؟

متى نحسن قراءة الواقع السياسي، والاقتصادي، والمعلوماتي، والثقافي؛ أعني بعين إسلامية وطنية مخلصة، حريصة على صالح الأمة، ودينها، وأجيالها، ومستقبلها القريب والبعيد؟

هناك مراكز استراتيجية، وبعض المحاولات (الصحفية) لكنني أريد عيونًا إسلامية، وطنية، رشيدة، عاقلة، موفقة، تمتلك القدرة على مزج الماضي بالحاضر بالمستقبل، لا تدين فقط للماضي وتتجاهل ما كان وما سيكون!

ولا تدين للحاضر على طريقة (لا تشغل البال بماضي الزمان...ولا بآتي العيش قبل الأوان)،

ولا تدين للمستقبل مقطوع الجذور..

بل تعتز بدينها وهويتها ووطنيتها، وتراثها، وتحرص على أن تصوب حاضرها، وتصلح أمر مستقبلها، مستعينة بتوفيق الله، وسنن الله، وما علمها الله، لعلها تجنب هذه الأمة الكسيرة ما يبيت لها من السحق والاستئصال..

وأرجو ألا أكون مغاليًا، فسياسة الأرض المحروقة تتبع بدقة شديدة منذ الثمانينيات: استخدمت في أفغانستان، وفي البلقان، وفي الشيشان، وفي العراق، وفلسطين، وخلاصتها: اهدم أكبر مساحة من البنية الأساسية، اقتل أكبر عدد من البشر، هجّر أكثر ما تستطيع من الناس، ولا تخش الرأي العام، ما دام الإعلام بيدك لا بأيديهم!

فمتى نهتم بالمستقبل يا أمة: إذا قامت القيامة، وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها؟!

من صور فجور الخصوم:

رابعًا: والمرأة أيضًا:

ولعل من الجوانب التي أهملها الإسلاميون – تنظيرا وتأصيلا ودعوةً – جانب

ولعل من الجوانب التي أهملها الإسلاميون – تنظيرا وتأصيلا ودعوةً – جانب الدعوة النسائية وآلياتها ومحاذيرها ومن يقوم بها، فالدعوة النسائية – في معظمها – لا تزال حلقات قرآن، وتعلمًا للتجويد، وبعض الرقائق،

وأكثر من يكتبون عن (نصف الدين) يلوكون الكلام ذاته، في حالة اجترار غريبة وغبية: المرأة التي أنصفها الإسلام؛ مقارنة بأختها عند الإغريق والرومان والهنود الحمر والأزتك والإنكا وسكان زمبابوي، ونهطاي، وعزبة الصفيح!

وعن الخلاف في النقاب والحجاب!

وعن (آسم أمين – الراجل الوِحش) وكثيرون لا يعرفون أن قاسمًا – لولا الريادة – ولي من أولياء الله الصالحين بجانب الست نوال، وصاحبات العفاف غادة السمان، وهالة سرحان، وإيناس الدغيدي، وفاطمة مرنيسي، ورزان مغربي، وغارة عبرازق، وبقية نسوان الفضائيات، والإف إمات، في زمن (لبننة الإعلام) و(تونسة) الثقافة الفضائية!

كثيرون لا يعرفون أن الأمر لم يعد الحجاب، ولا النقاب، ولا حتى الميدي، بل انتقل إلى الدعوة لتفكيك الأسرة، ولقرى العراة، ونوادي الشواذ، وزواج المرأة من أربعة ذكور، و(لماذا لا يكون الله امرأة)؟

دعوات وقاح بذيئة لا تتوانى عن الاحتماء الخسيس بالسلطات في الداخل الكاره، والخارج المتربص، وبالقوانين التي تكرس الشذوذ والزنا والدعارة وتفكيك الأسرة، والقضاء على النظام الاجتماعي الفطري من خلال الأمم المتحدة، ومجلس الأمن، وصندوق النقد، والصليب الأزرق!

ألا يستفز هذا الإسلاميين، ليتابعوا، ويتصوروا، ويدعوا الناس (بما يعرفون؛ أتريدون أن يُكذب الله ورسوله)؟!

إن الدراسات عن المرأة – في الغالب – ساذجة، وعاطفية، وخطاب إسلامي موجه لإسلاميين، أما المتابعة، والتأمل، وقراءة الآخر، والكتابة عن دعاة التحليل الجدد، ورصد ما يقال وما يطرح، من خلال الدراما، وأغاني الفيديو كليب، والفضائيات، والتنظير، وجمعيات المرأة، و(الكوانين) الدولية، فهو آخر ما يعني كتّاب آخر الزمان، من فئة الإخوة (المجترين) الذين لا يضيفون، ولا يبدعون، ولا ينفعون بل يضرون!

وفي حدود قراءاتي القليلة لم أجد من اهتم بالدعوة النسائية، ومتابعة الواقع؛ إلا كتابات حيية خفيضة الصوت، لعدد قليل من الأساتذة كالدكتور على عبد الحليم محمود، والدكتور اللويحق، والأستاذ محمد رشيد العويد، وشباب مجلة الأسرة، وشباب فرحة (في إطارها الخاص)، ثم ليس بعدُ إلا التكرار الممل، والتصنيف القاصر المخل!

أرجوكم، انظروا في الواقع، تابعوا ما يطرح، اكتبوا لنا: كيف تتحرك المرأة الداعية، ما إشكاليات عملها؟ ما مزاياه؟ ما محاذيره؟ ما ضوابطه؟ الآليات/ المناهج/ الوسائل، هل تعمل – فعلًا – في الصحافة/ في الأدب/ في الفضائيات/ في غير ذلك من المجالات؟

واجهوا ولا تتهربوا، فكروا ولا تجتروا، ارصدوا فأنتم مرصودون!

أخرجوا لنا امرأة في قوة نوال السعداوي، وجَلد فاطمة مرنيسي، وأفعوانية غادة السمان، وجرأة إيناس الدغيدي، و(حرفنة) رزان مغربي!

لكن في الحق، وللحق، وبالحق؟

هل نفعل أم نظل نشعل الخلاف حول مندوبية النقاب وفرضيته؟

أم يخرج متربص يقول إنني أهاجم السنة، وأرفض النقاب، وأسب العلماء، وأحارب الله ورسوله؟

والله ممكن، وهذا أثر فأسك!

وماذا بعد؟

أعتقد أنه يمكن الكتابة على هذا النحو في تناول التفسير، والتعامل مع السنة المشرفة، وغيرها، ويمكن الضغط على جراح عميقة في طريقة تناولنا لعلوم الإسلام، وفنون الدعوة، لكن حسبي وحسبك هذا المقدار من إزعاجك قارئي الكريم، وسامحني إذا قصرت، أو اجترأت، أو أسأت التعبير، وادع لي إن كنتُ قلت شيئًا ذا بال، مع شكري الجم إذا وافقتني أو خالفتني، سبحانك الله وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

النخبة (الأليطة)

أستاذية التنصل والاستعلاء والتلاوم

للعامة حكمتهم الكامنة فيما وراء الألفاظ والكنايات العامية من إيحاءات ورموز ساخرة، تعكس نظرة واعية، وإن كانت تكتفي بالسخرية ولا تزيد.

ومن الألفاظ الشعبية اللاذعة التي تحمل شحنة لا بأس بها من الوخز والتعريض: لفظ (الأليط) الذي يطلقه جمهور العامة على الشخص المنتفخ كبرًا، المرتفع صدرًا، المَعْنِيّ بملابسه أكثر من اعتنائه بمضمونه وحقيقته:

فهم يقولون: (فلان أليط، وهم أُلَطَة – على وزن هُمزة ولُمزة – ومصدرها العامي: (أَلاطة)، يربطون ذلك كله بجذر شعبي يوصف به الشخص الآدر ذي (الأليطة)!

والنخبة – كما وردت بالمعاجم – "وبستر 1994/440 – لونجمان 1993/415" هي مجموعة أو جزء من مجموعة مختارة، تكون أكثر تميزًا – عرقيًّا، أو وظيفيًّا، أو اجتماعيًّا – قياسًا بحجمها!

روافد الانتخاب:

وهي – في الواقع الذي نراه – قد تكون انتسابًا أسريًّا، كالأتراك وأسرة محمد علي – أيام زمان – وبعض الأسر حاليًّا، من أولئك الذين يصعب أن يتزوجوا من

غيرهم، أو يخالطوهم بسهولة؛ إحساسًا بالتميز والنخبوية. وكم نساء (عنّسن) وأكلن أنفسهن قهرًا لأنهن لا يستطعن الزواج إلا من مستوىً معين، من أسر معينة، لا يتقدم أبناؤها للزواج، فتقضي إحداهن عمرها فريسة قهر شديد، أو فساد مريد!

وقد تكون نخبة اصطناعية افتعلتها مجموعة فكرية كاليساريين – قديمًا – الذين اصطفّوا الآن إلى جهة اليمين، وصاروا خواجات ربما أكثر من الخواجة (سام) نفسه.

وقد تكون مجموعة منسوبة لمصدر ثقافي مشترك كخريجي أوكسفورد، أو كمبردج، أو الجامعة الأمريكية في القاهرة التي أخرجت نخبة تحكمت كثيرًا في المسار الفكري والسياسي العربي في النصف الأخير من القرن العشرين، منها: قسطنطين زريق، وجورج حبش، وليلى شرف، ونديم البَيْطَار، وأحمد الخطيب، ووديع حداد، وهاني الهندي، ناهيك عن الموالين اللصيقين كسعد الدين إبراهيم، وسعيد العشماوي، وغيرهما من الإخوة المتعاونين.

وقد تكون النخبة من رؤوس المنتسبين لحزب سياسي يضع نفسه فوق الأمة، وفوق الأحزاب، وفوق التاريخ والجغرافيا، ولافتات الأمم المتحدة، والمنطق، والعقل، والشرع قبل هذا كله، كما فعل منتسبو الحزب الوطني الإقصائي، الذي دمر مصر كلها، وخربها بمنتهى الإصرار والترصد.

وقد تكون من السالكين في منظومة وظيفية ذات خصوصية كأساتذة الجامعة الذين أتمنى أن يكتب عنهم رجل منهم، فيه نوع إنصاف من النفس، وإحقاق للحق؛ بعد أن تسلل إليهم من لا يعرف العربية، ومن لا يفهم أبعد من موضوع رسالته، ومن جعلها وراثية ملكية لأبنائه، ولو كانوا (أبيض يا صيني) ومن جعلها منصة يتفرعن بها على التلاميذ الغلابة، قائلًا مقالة فرعون، ومن يبيع الشهادات، ويكتب الرسائل العلمية للطلاب مقابل مبالغ كبيرة وصغيرة، ومن اشتغل مع الأمن، وصار عينًا لمخبر يحمل دبلوم صنايع، لينال الرضا السامي، ويبقى على كرسيه الزائف!

وقد تكون جماعة دينية إقصائية منفوخة، ترى نفسها الأعلم والأسلم والأتقى، وتنظر لغيرها من المسلمين العاملين للإسلام، أو المشغولين بهموم الحياة، نظرة

استعلاء، هي مزاج من الشفقة (والقنعرة) والإحساس بالزعامة، والرغبة في فرض الذات، وتُدخل الآخرين جهنم من أوسع أبوابها، أو على الأقل تراهم يستحقون ذلك!

نظرة للوراء:

وقد تبلورت في مصر منذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين طائفة وصفت نفسها – أو وصفها الإعلام – بأنها الصفوة أو النخبة Elite، ولعل العامة أخذوا منها لفظ: (أليط)، إن لم يكونوا قد اشتقوه من وصفهم للآدر، الذي تثقله أدرته، فيقوس ظهره للوراء، ويرفع رأسه لأعلى، وكأنما يمشي مستكبرًا مزهوًا، بشكله المضحك، وتقوسه المتكلف!

وهؤلاء الناس (الإيليت) اشتهروا بأنهم يحملون هَمّ الثقافة والأرستقراطية – وإن خرج كثير منهم من أعماق الريف، وأَباعدِ المناشي والكفور والنجوع – فصار أحدهم يتهم أهله في العزبة التي خرج منها بالتخلف، ويتأفف منهم، ويحتقرهم،

وبات أعظم طموح هذا المنسلخ أن يجالس أهل الصالونات من ذوي الملابس الرسمية، وأن يصب نفسه في قوالب السادة الكبار "الفرنسيس والإنجليز

وهوانم وبكوات الأسرة الحاكمة آنذاك" فهو يتشدق بألفاظهم، ويحاول أن يمشي مشيتهم، ويلبَس لباسهم، ليصير كالغراب الذي هجر مشيته كي يقلد مشية القَطَاة، فنسي هذه، وعجز عن تلك.

وقد سخر العبقري عبد الله النديم رحمه الله من أهل الألاطة في العدد الأول من (التنكيت والتبكيت) من خلال شخصية "مسيو زعيط" الذي عاد من أوربا مصابًا بالصّعَر من عوائد أهله ولغتهم وأحوالهم، ونسي اسم البصل الذي تربى على "فحوله" فأخذ يحدث أمه البسيطة عن ذلك البتاع:

- البتاع دا يا ماما!
- اسمه إيه يا بني؟ الفلفل؟
- نو، نو، الـ.....، دي، البتاع اللي ينزرع!
- الغلة يا بني؟
- نو، نو، دي اللي يبقى له رأس في الأرض: أونيون.
- والله يا بني ما فيه أونيون، دا لحم ببصل.
- سِي سِي، بصل، بصل

وعبر هذه النخبة ابتلى الله مصر بما هي فيه من كوارث التخلف، والقهر، والفساد، والتراجع الحضاري، والانهزام النفسي، ونهب الخيرات، وموالاة العدو، وغيرها!

وعبر هذه النخبة ظهر من يؤيد الاحتلال الإنجليزي لمصر بقوة!

ومن كان يدعو للانتساب للغرب، كفرًا بالشرق، مخاصمة للجغرافيا والتاريخ والوطنية والواقع والدين!

ومن كان يلعن (سنسفيل) الإسلام والمسلمين.

وعبْرها ظهرت بواكير الدعوات المتمردة على الإسلام عقيدة وشريعة ومنهاج حياة: الدعوة للعامية، والدعوة للفرعونية، والدعوة للعلمنة، الخ.

ثم تبلورت هذه النخبة بعد ذلك في قوم مغسولي الأدمغة والقلوب والتوجهات، استُزرعوا فيما وراء البحار، وعُرّضوا لعملية تلقين هائلة، عادوا بعدها نخبويين صفويين

أليطين، يستنبتون في بلادنا الشيوعية والإلحاد، أو العلمنة والحداثة والاغتراب، بدلًا من الأصالة، والرغبة في الانبعاث، ومقاومة السلبيات.

وإنك لواجد شيئًا كثيرًا من الأخبار والطُّرف والفجائع عن هذه النخبة "النرجسية" كثيرًا في مظانه، وهي ليست محور حديثي، بل إن لي حديثًا عن نخبة أخرى تعيش على الإسلام، وتظلمه، وتوهم نفسها والآخرين أنه بدونها لن يكون إسلام صحيح، ولا فكر قويم، ولا رؤية صائبة.

النخبة الحقة:

ونحن إذا تحدثنا عن الانتخاب المبني على جملة من المزايا الموجبة للتميز، لقلنا – دون تردد – إن أعلى النخب التي عرفها البشر هي نخبة "المصطفَيْن الأخيار" وعلى قمتهم سيد الأولين والآخرين محمد "المصطفى" عليه وعليهم صلوات الله وسلامه؛ فقد كانوا نخبة إيمانية وعقلية واجتماعية، انتخبها واختارها – بعد أن صنعها على عينه – العليم الخبير سبحانه.

وقد تحدث القرآن عن اصطفاء هذه النخبة في عشرة مواضع: منها قوله تعالى: (وإنّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ المُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ) ص: **47**.

وقوله تعالى (إنّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ ونُوحًا وآلَ إبْرَاهِيمَ وآلَ عِمْرَانَ عَلَى العَالَمِينَ) آل عمران: **33**، وغير ذلك.

ووردت لفظة: (الاختيار) أيضًا – بمعنى الانتخاب للبشر المميزين – سبع مرات – مثل قوله تعالى: (واخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لّمِيقَاتِنَا) البقرة: **155**،

وقوله تعالى: (وأَنَا اخْتَرْتُكَ، فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى) طه: **13**.

كما ورد ما يفيد معنى الانتخاب والاصطفاء في السنة المشرفة، كقوله صلى الله عليه وسلم عن نفسه: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، بيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ – آدم فمن سواه – إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر) الترمذي، المناقب/**3618** بسند حسن.

وقوله عليه الصلاة والسلام: (أُعطيت خمسًا لم يُعطهن أحد قبلي،. الحديث) البخاري **1/ 369**، **37** – مسلم **521**، النسائي **1/ 22**.

وقوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله خلق الخلق فجعلني من خير فرقهم، وخير الفريقين، ثم خير القبائل فجعلني في خير قبيلة، ثم خير البيوت فجعلني في خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفسًا، وخيرهم نبيا ً) راجع المزيد في جامع الأصول 525/8 وما بعدها.

لذلك فإن الصفوة من الرسل والأنبياء هم سادة البشر الحقيقيون – وإن رغمت أنوف الذين انتقصوا منهم في "هوجة" الكتابات الأخيرة – أرقهم قلوبًا، وأصفاهم نفوسًا، وأكثرهم مزايا، وأعلمهم برب البرايا سبحانه وتعالى.

ويلي هذه النخبة – التي يستحيل أن تُنَافَسَ – نخب من الحواريين وأتباع الأنبياء، الذين عزروهم، ونصروهم، وآثروهم على الأبناء والآباء والناس أجمعين.

ثم الإضاءات التاريخية لمجموعات من العلماء والأئمة، يلمعون في سماء الأمة عبر تاريخها الماضي والحاضر والمقبل.

وإذا كان بين هذه النخب من قاسم مشترك، فإنه العلم بالله تعالى، والرفق بالناس، وحب الخير والحق، والانكسار والتواضع مع الخلق، فلا ترفّع، ولا استكبار، حتى إنْ كانت الجارية لتأخذ بيد سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، تطوف به المدينة ما يمتنع منها، وحتى إنه صلى الله عليه وسلم دعا أن يكون مع المساكين؛ فهم مادة الإسلام، وعصبه، يدخلون الجنة قبل غيرهم بكذا وكذا من السنين.

واقرأ عن مناقب أولئك الميامين في أبواب المناقب في كتب السنة كلها، وفي "الاستيعاب"، و"أُسْد الغابة"، و"جامع الأصول"، و"أخلاق العلماء" وفي "إعلام الموقّعين عن رب العالمين" وفي "جامع ابن عبد البر"، و"سِيَر أعلام النبلاء" وغيرها تجد العجب العُجاب، عن تميز نخبنا التي نباهي بها، من المرسلين، والأصحاب والتابعين، والأئمة المرضيين، والعباد الربانيين، والمجاهدين المبرورين.

من ملامح النخب الحقة:

ولعل من أعظم ما يميز الرجل كبير الهمة، راجح العقل، غزير العلم، أنه متواضع قريب لَيّن، تستطيع – بسهولة – أن تحادثه، وتؤاكله، وأن تجد منه طلاقة الوجه وحلاوة اللسان.

ولا ينبسط للكريم إلا الكريم، ولا يتواضع للناس إلا العظيم، ولا يبكي من أجل الناس إلا الرحيم،

أما اللئيم فهو غير ذلك، أما "النخبوي الكاذب المدّعي" أما الأليط المنفوخ الدعي، فهو غير ذلك:

جلس النبي صلى الله عليه وسلم مع مستكبر يأكل بشماله، فلما قال له: كل بيمينك، ضرب عليه "عرق الهيافة"، والإحساس بالذات، فقال من طرف أنفه: لا أستطيع، فدعا عليه المصطفى صلى الله عليه وسلم: (لا استطعت) فما رفعها إلى فيه.

وأحمق "نخبوي" ثانٍ يمر بمالك بن دينار، وحين رآه مالك معجبًا بنفسه قال له: رويدك يا هذا أن ينفجر فيك عرق، أو تطير كالبالون في الهواء!

فاستدار أخونا المنفوخ "وخنف" في عتو: ألا تعرف من أنا؟ مش عارف أنا مين!؟

فقال مالك: (بلى، أعرفك جيدًا: كنت نطفة مهينة مذرة، وتصير جيفة مدوّدة قذرة، و بين جنبيك العذرة)! فبُهت الذي انتفخ.

وقد يؤدي هذا الإحساس بالنخبوية "والعنطظة" إلى درجة إبليسية، تذكّرنا بغباء إبليس عليه لعائن الله، الذي أبى، واستكبر، وكان من الكافرين:

مرت امرأة لا تعرف الطريق جيدًا فسألت أحد المارة: يا عبد الله: كيف الطريق إلى مكان كذا؟ فقال لها في أبلسة نخبوية:

أمثلي يكون من عبيد الله؟

وغبي نخبوي آخر خطب الناس بالبصرة فأحسن وأوجز، فنودي من نواحي المكان: (كثّر الله من أمثالك)، فقال وبئس ما قال:

لقد كلفتم الله شططًا!

ولا أشك في أن هذه النخب – وإن ارتفعت في بعض السنين – لأنها أحسنت التسلق فإنها تنكشف، وتفتضح، ويُخرج الله – ثم التاريخ – من نَتَنها وعَفَنها ما كان خبيئًا.

ملامح النخبة الأليطة:

لكن ما يوجع قلبي، ولا يسيغه عقلي، هو أن روح الاستعلاء نشبت – حتى – في حلوق نخبة من نوع آخر:

أنيقة على الرغم من حديثها عن البساطة.

مستنيرة على الرغم من أن ذيولها كما يقال (رجعية).

مستكبرة رغم دعواها التواضع.

تتحدث عن حرية التفكير؛ رغم كونها تصادر الآخرين، وتغمزهم، وتعزو أسباب تفكك الأمة، وانكسارها الحضاري، وتخلفها التقني، والفني، والكروي إلى هؤلاء (الآخرين)!

إنها نخبة من المفكرين، تعيش على العمل الإسلامي لكنها تترفّع عليه، وهي تمتاز بجملة ملامح تجعلها فصيلة مستقلة، ومن ملامحها:

** أن السادة فيها يتحلون – كما أشرت آنفًا – في نظرتهم إلى العمل الإسلامي بقدر لا بأس به من الاستعلاء والكبر، وينظرون إلى فرقه كلها تقريبًا بتشامخ و(قرف)، ويكادون يحكمون عليها بأنها جميعًا هالكة، وليس فيها خير، فاسدة يأكلها السوس، تراوح بين التشدد الخارجي، والتنطع السلفي، والنفاق القلبي، والتساهل التبليغي، والجهل الأزهري، والفقه الظاهري، والعته الحضاري، في حين يملك أحدهم – وحده – مفاتيح النجاة، وصواب الرؤية، وحسن الفهم. وربما كتبوا هذا صراحة في بعض آثارهم، وبشروا به في ندواتهم.

** وكتاباتهم تعكس هذا الاستعلاء، إذ يميلون إلى الإغراب والرمز والتقعر المفتعل، ويفتشون عن وحشي الألفاظ، ووحشي العبارات؛ على طريقة ذلك النحوي المتقعر، صاحب: أصَقَعَت العتاريف؟ زقفيلم/ يظنون أن هذا يضفي عليهم سيما

الثقافة؛ فالجمل وعرة متكلفة، والمصطلحات عديمة الأصل والشرف، تعكس روح التفيهُق، وتملأ الشدقين جميعًا، لضخامتها وغرابتها، والتصاقها بالحلق والأسنان!

جُسْ خلال كتابات أحدهم، ولن تعدم سيلًا من الألفاظ من ماركة: الإسلام الإسكولاستيكي، والبطريركية الإسلامية، والفكر الأرثوذكسي، والاستلاب، والديماجوج، والفعل، والأيض، والغُثائية، والكهنوتية، والاستبطان، والإقلاع، والانشطار، والإسلاموية، والسلفوية، وغير ذلك مما يجعل القارئ المحايد يجزم بأن سيدنا "المُسَقّف" إنما يكلم نفسه، إذ لن يقرأ هذه اللغة المتكبرة إلا هو نفسه وبقية السادة أعضاء نادي الألاطة – إن تواضعوا وقرؤوا!

وأدعوك قارئي إلى أن تمتّع نفسك بوليمة حداثية متكبرة على مائدة محمد أركون أو حسن أبو خشبة – مجتهد الزمان – ونصر أبو زيد، ومن يقلدهم من النخب الأليطة، لتَغْثَى نفسُك، ولتصل إلى يقين بأن هؤلاء الناس أحد اثنين: إما أنهم لم يفهموا شيئًا من الإسلام على الإطلاق، وإما أن العالم كله – قبلهم – لم يفهم شيئًا منه.

وأذكر أنني حضرت ندوة عن الثقافة في إحدى الجامعات، حضرها جمع من مدمني هذه العبارات اللزجة، واستمرت لثلاثة أيام كنت خلالها أستغيث بالله: ويلكم ماذا تقولون؟

وفي ختام الندوة قام رجل مباشر، واضح، سهل العبارة، طبيعي، غير متكلف، اسمه (يوسف القرضاوي)، فتكلم بمفردات شديدة السهولة، شديدة الوضوح، شديدة الإقناع للعقل والقلب، فاندهشت، وقلت: سبحان الله هذا الرجل يحمل "ألِف دَال" وهم أيضا يحملون "الألف دال" وهو مفكر وهم مفكرون، فلمَ هو مختلف عنهم؛ إنه إما غريب عن الندوة، وإما أن يكونوا هم الدخلاء، لكنني وجدتهم في نهاية الندوة يصفقون له؛ على الرغم من أنه مسح كلامهم بأستيكة، وكان كالشمس تزيل الضباب، وتوضح الرؤية، وتهرب من ضوئها الأشباح.

** ومن ملامح هؤلاء أن علاقتهم بشباب العمل الإسلامي محدودة – إن لم تكن معدومة – وأزعم أن منهم من لم يجالس الشباب من سنين، فهو رجل متبتل في برجه العاجي، أو شرنقته النخبوية، دون نزول فعلي للساحة: فلا مسجد، ولا محاضرة، ولا درس، ويحزنون، لكنه في الصالون الثقافي المتلفز موجود، وفي الندوة ذات الفلاشات سباق، وفي ملتقى الجوائز جاهز!

** وبضاعتهم الرئيسية هي الكتابة الاستعلائية الأليطة، في حين تلح حاجة الجفاف الدعوي لعلماء دعاة، يرشّدون الاتجاهات، ويصبرون على الزلات، ويكفكفون من الشباب غلواءهم، ويكبحون جموحهم، حتى لا نعود لنبكي سوء الحال، ونشتكي من تطرف الشباب الذين لا يعقلون، ولا يحترمون، ولا يقدرون.

فالتصويب الميداني، والمناصحة العملية مسألتان ضروريتان، حتى لا نكون كالذي يؤنب شخصًا في مجاعة؛ لأنه لا يأكل في طبق (كريستوفل) بالشوكة والسكين، والفوطة على صدره، بينما المسكين يتضور حالمًا بحفنة أرز، أو كسرة خبز، لا ببسكويت المحروسة (ماري أنطوانيت).

** وهذا الترفع والتحليق غير المبرر يجعلهم – في كثير من الأحيان – أقرب لرموز العلمنة والاغتراب واليسارية، فيتحدثون عنهم بمنتهى الرفق والرقة، والمداراة وهدوء الأعصاب، في حين يتحدثون بعصبية "وقرف" عن ممارسات الجامدين المتخلفين المتزمتين ممن ينتسبون للعمل الإسلامي المسكين.

لقد رأيت أستاذًا أليطا يرأس كرسي الثقافة الإسلامية في السوربون يلعن "أبو خاش" جارودي في حديثه عن الأساطير الصهيونية، ويرفع – في الوقت نفسه – من سلمان رشدي، ويعتبره مبدعًا جديرًا بالمساندة!

وقرأت لمن "يشمئنط" حين يسمع اسم ابن باز، في حين تتهلل أساريره عند ذكر الأسود العنسي والسّهْرَوَرْدِي وأبي نواس!

وسمعت من يتهم ابن تيمية بالفساد في حين يمدح "أبا عشم" المجدد الصالح المصلح، الجريء – كأضرابه – على السلف وأطروحاتهم، الذين يتهمهم بمنتهى الدبلوماسية "والمنهشية " واللذع الأفعواني المهذب.

** وهم مولعون جدًا بالمؤتمرات، والجلسات النخبوية، مدمنون لهواية التوجيه والتقويم، والترشيد والتنظير والتأطير والـ،، للعقل الإسلامي "الطايش".

إنهم لامعون، مُنَشّون، معطرون، يتسابقون للحديث مع آخرين ممن لا يهمهم كثيرًا التعرف على الإسلام – وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم – بقدر ما يهمهم الحصول على تنازلات ممن يتحدثون باسم الإسلام.

** وهم غالبًا الممثلون للعقل الإسلامي، اشتروه وسجلوه في الشهر العقاري، فلن تفقدهم في كل مؤتمر، وكل ندوة، وكل محل فيه فلاشات ومانشيتات وكاميرات دوارة، وفضائيات وبرامج بث مباشر "كده وكده".

** ومن ملامحهم التي تعكس تناقضهم: أنهم يطالبون بحوار عقلاني، وتفاهم علمي، وأخذ بروح الإسلام وخطوطه الكلية:

فإذا دار في مجلس حديث ينادي بإلغاء السنة: فلا بأس، هذه حرية رأي!

حديث يشكك في القرآن: ماشي نعطيه فرصة!

يطعن في المعلوم من الدين بالضرورة: وما له؟ نحن نرحب بالحوار!

كلام يطعن ويخنق التراث: هذه مناقشة علمية، وهذا حديث كبار وأساتذة جامعة..

فإذا جاء شاب مسكين يبحث عن التزام بسُنّة في هيئته، أو منطقه، أو نظام حياته، وظنوه قد أخطأ أو أساء، فيا ويله، ويا سواد ليله، وهات يا ألفاظ من ماركة: ضيق العطن، والتسرع، والتنطع، والتطرف، والـ،. وأخرجوهم من قريتكم، اقتلوا الجاهل أو اطرحوه أرضًا، ووالله ما أبالغ!

** وهم يملكون مقدارًا جيدًا من المرونة التي تنجي في الشدائد، فهم دائمًا في "السّيف سايِد" تصفهم النخبة العلمانية بالاستنارة، والدعاة الفندقيون بالوعي واليقظة، والخصوم المقاربون بالاعتدال، ووسائل الإعلام "النظيفة" بأنهم "البهوات المفكرون الفلتات".

إنهم قوم يحسنون التأتي، ويملكون أنوفًا ذات حساسية لمعرفة اتجاه الريح، وهي موهبة لا يملكها – عادة – السذج، والمباشرون، والمحتسبون.

** وهم يستطيعون – لا أدري كيف – الكلام في كل شيء: في هموم الأمة الاقتصادية، والخصخصة والبورصات، وفي ملامح الخلل الاجتماعي، والسياسة الشرعية، ودقائق المسائل العلمية والتجريبية، والديمقراطية الإسلامية (والليبرالية المحمدية)، وحقوق المرأة، وهيمنة الفكر الذكوري الاستبدادي، وسعر الحرنكش، وممارسات النظام العالمي الجديد، والهندشة الوراثية، وارتفاع الدولار، ونظرية النسبية، وسر وجود قرود الليمور في مدغشفر، وتصميم مركبات الفضاء، ولوحات بيكاسو، وعيوب التصميم القديم لمحركات الديزل!

كل شيء يعرفون، فلا شيء مستحيلًا، ولا شيء يقال فيه لا أعرف، تمامًا كاللغوي الخنفشاري الذي كان يستطيع – على البديهة – أن يأتي بشاهد من اللغة على أية كلمة، فلفق له بعض العيال المشاغبين كلمة، اختار كل واحد منهم حرفًا من حروفها، ثم سألوه:

يا مولانا النخبوي: أتعرف الخنفشار؟ فأجاب دون أن تطرف عينه: الخنفشار؟ بكل تأكيد، وهل يخفى علي من اللغة شيء؟ إنه مادة ينعقد بها الحليب، قال ابن فلان:

لقد عُقدت محبتُكم بقلبي كما عقد الحليبَ الخنفشارُ

** وحبايبنا النخبويون حريصون جدًّا على المواقع المبهرة المدوية، فتجدهم في المراكز العربية والعالمية قد أخذوا بتلابيب ونواصي كراسي الثقافية الإسلامية والعقيدة والفلسفة والإعلام وما شابه ذلك. وعلى الرغم من هذا فإن الكثرة الكاثرة منهم – كما أشرت قبل – غير مقروئين، وغير اجتماعيين، ولا معايشين للناس ولا للواقع وللدعوة.

فرق بين نخبة ونخبة:

لقد رأينا كبار رؤوس العمل الإسلامي – المؤثرين – أناسًا "مثلنا": أبناء نكتة وسماحة وجه، وحسن معشر، ومعايشة للواقع!

وجدناهم أليفين مألوفين، باشّين ودودين!

فهل يتعلم أهل الألاطة، أم يصرون على أن يبقوا بعيدين عن المجتمع والشباب والدعوة الميدانية الفعلية، لا يتكلمون إلا من أنوفهم، ولا يشيرون إلا بأطراف أصابعهم، حفاظًا على " البرستيج " النخبوي المزعوم؟

** وعلى الرغم من أن الثياب والهيئة ليست مقياسًا نهائيًّا وفاصلًا في الالتزام وعدمه، فإنها – على كل حال – تبقى ذات دلالة، فالثياب في كل المجتمعات، وعند دارسي الأنثروبولوجيا، هي بطاقة هوية، تعكس المستوى الاقتصادي والاجتماعي والعقَدي والأخلاقي للابسها، لا شك في هذاز

وأهل الألاطة – في ظني – غير حريصين كثيرًا على مجرد اللمسة الإسلامية المميزة، فلا لحية، ولا شارب، ولا أية علامة، مع أن العربي يقول: إن شبيه الشيء منجذب إليه، والطيور على أشكالها تقع، ومع تصريح سادتنا العلماء بأن المشابهة في الزي تورث المحبة والميل لأهله.

وإنك لن تجد في حبايبنا المفكرين المستنيرين من يحرص على التشبه بمحمد صلى الله عليه وسلم في بعض العلامات الفارقة؛ لأنهم – ببساطة – مستنيرون!

وتدفعني هذه النفثة إلى افتراض – أن يتبلور اعتقاد فكري عام في فترات مقبلة بأن النخبة ستعتبر نفسها جماعة الحق الوحيدة التي قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق)، وبناء عليه سيطالبون بقمع صور الباطل والجهل والضلال على طريقة معتزلة المأمون، الذين سجنوا العلماء، وذبحوهم، وأرهبوهم، على الرغم من إعلاء المعتزلة للعقل والعدل والحرية!

ولماذا أفترض؟

إنه فعلًا حاصل؛ وهل تمتلئ السجون منذ نحو قرن من الزمان بغير الإسلاميين!؟

وياالله للعقل والحرية.

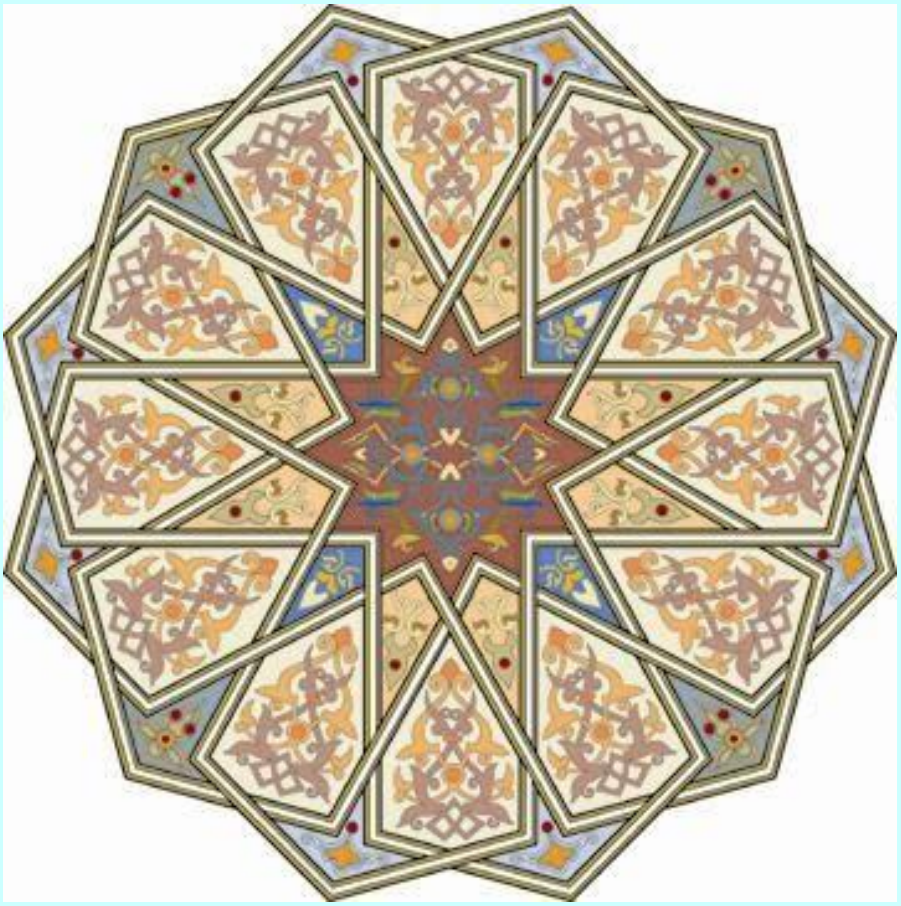

الغزو المصطلحي

من أخطر أشكال الحرب على الهوية:

مقدمة عن المصطلحات: أشد الحملات الصليبية وأطولها عمرًا:

قبل ربع قرن من الزمان بدأت علاقتي بقضية المصطلحات تأخذ منحىً جادًّا، حين وجدت نفسي طرفًا في معركة دارت بين والدي وأستاذي الجليل الدكتور عبد العظيم الديب، وبين صحفي كتب في جريدة خليجية عن فرقة فلسطينية راقصة (تجاهد) بالدّبكة في سبيل الله تعالى.

وكان أن نبه أستاذي الدكتور الديب أخانا ألاّ يخلط بين الجهاد والرقص، وأن نسمي الأشياء بأسمائها؛ احترامًا للألفاظ الشرعية، أو – على أقل تقدير – احترامًا للعقل والمنهجية.

وثارت ثائرة أخينا الصحفي المسقَّف، وبدأ – مستفيدًا من موقعه في الجريدة – يخرج ألفاظًا بذيئة من ماركة: ضيق العطن، والتَّزمُّت، والتطرف، والجهل، وما شابه من ألفاظ إرهابية يستخدمها بعض السادة الصحفيين، والكتّاب المستنيرين، لقمع الناس، وتخويفهم، وقطع ألسنتهم، وإنهاءً الحوار إذا لم يكن في صالحهم.

وبدأتُ – منذئذٍ – النبش في القضية؛ لأجد نفسي أمام حربٍ دقيقة مبرمجة، طويلة النفس، متعددة الأساليب، منوعة المقاصد:

أداتها الكلمة..

ونتيجتها إرهاب الحق وقمعه، وإعزاز الباطل ورفعه،..

وتنفيس الخسيس، وتحقير النفيس..

وصناعة مسارات فكرية موجهة..

وتحريف الكلم عن مواضعه، بدهاءٍ وفاعليةٍ.

وهذه النتائجُ نعيشها، ونلمس آثارها، ونرى ما أحدثت من تلبيس، وتشويش، وإفساد، وإساءة.

البدايات:

وبدا لي أن القضية بدأت مبكرة جدًّا:

= فلقد استعملها اليهود – عليهم لعائن الله – مع أنبيائهم حين حرفوا الكلم، وغيّروا نصوص التوراة والإنجيل دلالاتٍ وألفاظًا: (مِنَ الَّذين هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّواضِعه) [النساء:46]..

= كما استخدموها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رطانتهم، وفي حوارهم فيما بينهم: (ويَقُولُونَ سَمِعْنا وَعَصَيْنا، واسمعْ غَيْرَ مُسمعٍ، وراعنا؛ ليًّا بألسنتهم وطعنًا في الدين) [النساء: 46].

= واستخدمت في تاريخ الإسلام في طروحات الفرق المنحرفة عن هدي المصطفى صلى الله عليه وسلم، وحربها الاصطلاحية على أهل السنة؛ ففي حين سمى المعتزلة أنفسهم: أهل العدل والتوحيد أطلقوا على أئمة السنة: بلاكفة، وحشوية، ومعطّلة، ومشبِّهة!

ويسمى الدروز أنفسهم: الموحدين، ويسمي مضللو القاديانية أنفسهم: الأحمدية، وهكذا!

وفي عصرنا دخل القوم علينا بتقسيم الإسلام إلى:

بدوي وحضري، وأرثوذكسي وعلماني، ورسمي وشعبي، ونصوصي وعقلاني، ومدرسي (اسكولاستيكي) وحداثي، وسلفي وعصري.

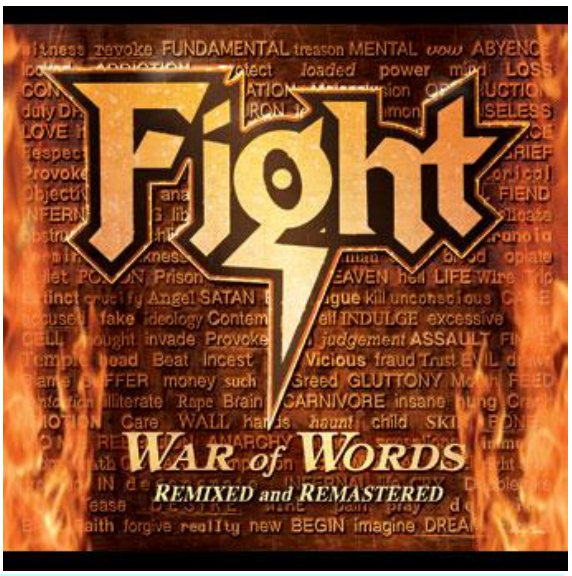

واستخدموا مناهج لقراءة النصوص لا علاقة لها باللغة التي تحدث بها المصطفى صلى الله عليه وسلم – أفصح العرب – ولا بأصول الاستنباط والنظر التي تواضع عليها الأصوليون، ولا بفهوم الصحابة والتابعين والأئمة المُعتْبَرِين، فقراءتهم – كما يسمونها – عقلانية/ عصرية/ تفكيكية/ تنويرية/ تثويرية.

وحدثونا عن (أنسنة) النص المقدس، أي عن تحوله – بعد نزوله مباشرة – إلى نص بشري قابل للنقد والقبول والرد، وقراءته بعين سوسير وإلتوسير ورولان بارت وميشيل فوكو؛ جاعلين القرآن والسنة نصوصًا لا تتميز بحالٍ من الأحوال عن زاوية "نصف كلمة" لأحمد رجب في صحيفة الأخبار القاهرية؛ و"بقرة حاحا" لأحمد فؤاد نجم، لتنتفي القداسة عن النص، ويتحول – فور كتابته، أو نزوله – إلى كيانٍ مستقل، تنقطع العلاقة بينه وبين منشئه، ويعود نصًّا بلا معانٍ محددة!

ولا بد هنا – قبل الدخول في الموضوع – أن نبين: ماذا نريد بالمصطلح، وماذا نريد بالغزو؟

الغزو المصطلحي:

انتبه عدد من الأساتذة للهجمة الشرسة على الإسلام عن طريق الألفاظ ومناهج القراءة، وسماها بعضهم – كالأستاذ عمر عبيد حسنة: – معركةً، واعتبرها الأستاذ جمال سلطان: إسقاطًا..

والحق أنني أراها غزوًا يعتمد تكثيف الهجوم، وتنويع الأساليب، والمباغتة، والتمويه، مستغلًا غفلة الخصوم، وانشغالهم وتفرقهم، ورداءة مناهجهم في التعامل مع الواقع الفكري والدعوي، وقلة متابعتهم لما يُرمَون به!

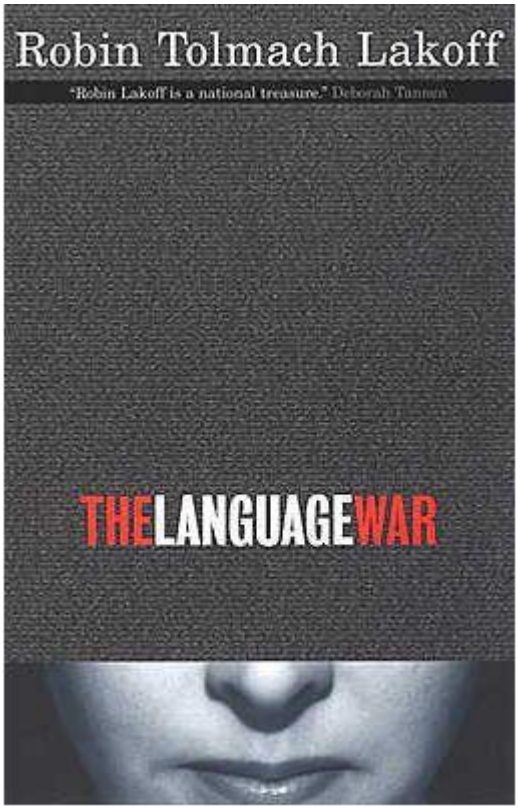

وكلمة مصطلح تطلق اليوم ليراد بها: المعنى الذي تعارف عليه الناس، واتفقوا عليه في استعمالهم اللغوي الخاص، أو في أعرافهم الاجتماعية، وعاداتهم السائرة. وتساعد الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والدينية على أن تُحَمَّل كلمةٌ ما معنىً غير الذي وضعت له، في أصل اللغة التي تنتمي إليها، ويسير هذا المعنى الجديد بين الناس، حتى يصبح في استعمالهم اليومي شيئًا مألوفًا، يُنسى معه ذلك المعنى اللغوي الأساس، أو يكاد. وهذا المعنى الجديد هو ما نقصده عندما نقول: المعنى الاصطلاحي.

وهناك المصطلحات الفنية Terminology وهي مجموع الكلمات والعبارات المتصلة بفرع من فروع المعرفة، أو بفن ما، أو الكلمات والعبارات الخاصة بعالمٍ معين، في بسطه، وعرضه لنظرية من النظريات الفنية أو الأدبية أو العلمية، كأن نقول: مصطلحات الغزالي في التصوف، كالمريد والقطب والإشراق.

ولو أردت أن أعرّف المصطلحات بشكل ألصق بموضوع هذه المقدمة لقلت إنها:

الألفاظ المنقولة أو المرتجلة، التي توضع لها معانٍ، مخالفة لوضعها اللغوي، أو الاصطلاحي العربي، لتخلق جوًّا من التحسين، أو التقبيح لهذه الألفاظ، يخدم أعداء الإسلام.

وأعني بالمنقولة: الألفاظ التي تُحوَّل عن دلالاتها الأصلية؛ لتعطي معنىً جديدًا، غير المعنى الاصطلاحي السابق، أو المعنى الشرعي: كلفظ الاجتهاد، ولفظ الأصولية، ولفظ العقلنة، في تناول بعض المفكرين، والصحفيين لها.

وأعني بالمرتجلة: الألفاظ ذات الدلالة المستحدثة، والمعنى الموجّهِ: كلفظ العولمة أو الكوكبة، أو الإرهاب، أو الديمقراطية!

وأعني بجملة "لتخلق جوًّا..": أن هذه الألفاظ التي اصطلح عليها نفر قليل جدًا، ثم نشرها الإعلام، ومكّن لها في الأذهان ليست عريّة عن الغرض، ولا بريئة أو حيادية، بل تخدم فئة، أو عقيدة، أو نظامًا، ولا تصب في مصلحة تاريخ الأمة، ولا دينها، ولا حاضرها، ولا مستقبلها.

الرسول صلى الله عليه وسلم والمصطلحات:

حرص سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على تحرير العقلية المسلمة من كل غبشٍ، ودخن يمكن أن يتسلل إليها: من الأفكار الشركية، أو العقائد الجاهلية، أو الألفاظ التي كانت تدور – أحيانًا – على ألسنة بعض الصحابة، دون أن يفطنوا لظلالها، وخطورة ما استتر تحتها من عقائد ومفاهيم.

واتخذ هذا الحرص أشكالًا عدة منها:

1– تحذيره صلى الله عليه وسلم من خطورة الكلمة، وأمره بحفظ اللسان، وتحريم الكذب على الله –تعالى– وعلى عباده، وعدّه ذلك من أعظم الكذب.

ومن ذلك حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– مرفوعًا: [إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يزلّ بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب] [متفق عليه].

2– تصويبه صلى الله عليه وسلم لبعض ألفاظٍ نطق بها الصحابة – رضي الله تعالى عنهم– رأى فيها ما يمس العقيدة. ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: [لا تقولوا للمنافق: سيد؛ فإنه إنْ يك سيدًا فقد أسخطتم ربكم عز وجل].

3– تغييره صلى الله عليه وسلم بعض الأسماء ذات الدلالات القبيحة، كتغييره اسم الأجدع إلى عبد الرحمن، وبني الزَّنْية إلى بني الرَّشدة، وعاصية إلى جميلة، وعبد الكعبة إلى عبد الله.

4– تغييره صلى الله عليه وسلم بعض العبارات ذات المعاني الجاهلية مثل: بالرفاء والبنين، وعم صباحًا، وأبيت اللعن، لما تتضمنه من مفاهيم تتعارض مع قواعد الإسلام ومفاهيمه.

5– إشارته صلى الله عليه وسلم إلى أن قومًا يأتون بعده سيعبثون بالمسميات ويغشون في الدلالات، كما في سنن ابن ماجه مرفوعًا: [لَيشربنَّ أقوام من أمتي الخمر، يسمونها بغير اسمها...]. وهذا منهج الذين سمَّوا الربا فائدة، وجعلوا سبّ الله – تعالى – تنويرًا، والاستباحة حرية، والرقص فنًّا، والزنا صحة جنسية!

السلف الصالح والمصطلحات:

ولا يخفى على مُطَّلعٍ اهتمام العلماء – قديمًا وحديثًا – بتحديد الألفاظ وضبطها بالشكل، وبالحدّ، وبإخراج المتحرزات، وبتقسيم التعاريف، وتحريرها، بشكل جامع مانع؛ بحيث لا تتداخل المفاهيم، ولا تختلط المعاني، لعلمهم أن المصطلح إذا استعمل بشكل غير محررٍ (غير جامع ولا مانع) لم يكن مقبولًا، ولا علميًّا.

وسر هذا أن سلفنا الصالحين رضي الله عنهم انتبهوا إلى أن للألفاظ دلالات حقيقية وأخرى مجازية، وأن لها زوايا للنظر من جهة الوضع اللغوي، والدلالة الشرعية، والدلالة الاصطلاحية، والدلالة المعرفية. كما أن الدلالة اللغوية للكلمة تدور بين النص

– كما يحرره الأصوليون – والظاهر والمشترك، والمجمل والمبهم، والعام والخاص، والمفهوم والمنطوق، والفحوى والإشارة.

فاهتموا بفرز مصطلحات الفنون: كمصطلحات أصول الفقه، وعلم الحديث، وعلوم القرآن الكريم، والنحو، والمنطق.

وكتبوا كتبًا مفردة في المصطلحات والتعريفات منها رسالة للكندي الفيلسوف (ت252) في: "حدود الأشياء ورسومها"، وكتاب أبي عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف البلخي الخوارزمي الكاتب (ت387هـ): "مفاتيح العلوم" الذي جمع فيه مصطلحات العلوم في عصره، ثم كان لابن سينا (ت 428هـ) كتاب: (الحدود) والرازي (357هـ): (حلية الفقهاء) والمطرزي: (المغرب في لغة الفقه) وأبو هلال العسكري: (الفروق اللغوية) وللآمدي (631هـ) رسالة بعنوان: (المبين عن معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين)، وللجرجاني (816هـ): (التعريفات)، وكتاب أبو البقاء الكفوي (1094هـ): (الكليات)، وكتب القاضي الأحمدي نكيري الهندي (1173هـ): (دستور العلماء)، أو جامع العلوم، وكتب التهانوي (1158هـ) كتابه الفذ: (كشاف اصطلاحات الفنون)، والأمير العالم صديق حسن خان: (أبجد العلوم)، وغير ذلك كثير.

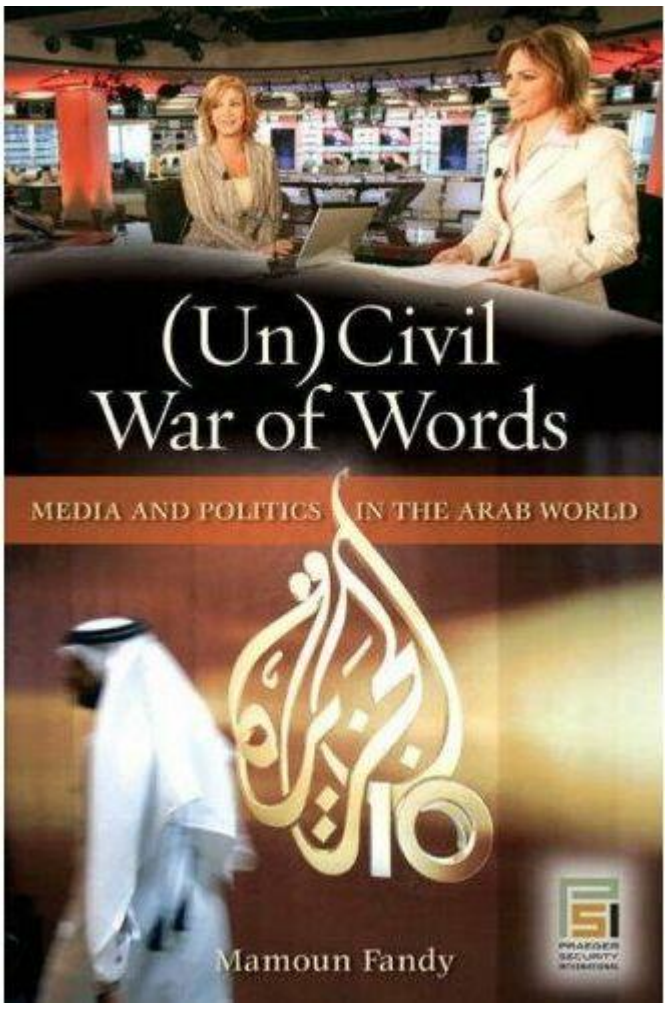

وقد لا نرى ضيرًا أن نقول: إن وضع علم النحو والصرف، وتقعيد القواعد، إنما كان – في الحقيقة – سبيلًا إلى حماية الألفاظ والدلالات القرآنية، وضبطها بمعهود العرب في

الخطاب؛ حيث نزل القرآن بلسان عربي مبين؛ حتى لا يكون إسلام أصحاب اللغات الأخرى سبيلًا إلى التيه الدلالي والاصطلاحي، حتى إن كثيرًا من علماء اللغة – كابن هشام – رحمه الله – فيما روي عنه: عندما طلب إليه أن يضع لطلبته كتابًا في التفسير، وضع لهم كتاب: "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب" لضبط دلالات الألفاظ والأدوات، ومعانيها، وحتى يدرك المصطلح القرآني بكل احتمالاته.

بل إنهم نصّوا في مقدمات كتبهم – المعنية بالمصطلحات أو غيرها – على التحذير من أي خلط أو خلل في هذا المجال، ومن ذلك ما أورده إمام الحرمين الجويني في مقدمة الكافية في الجدل:

اعلم أنه لا يتم تحقيق النظر – أي البحث العلمي – لمن لا يكون مستوفيًا لمعاني ما يجري من أهل النظر، في معاني العبارات وحقائقها – على التفصيل والتخصيص – معرفة على التحقيق، فتكون البداية – إذًا – بذكرها أحق وأصوب؛ فأول ما يجب البداية به: بيان (الحد) ومعناه، لتتحقق خواص حقائق العبارات وحدودها.

ويقول في مفتتح كتابه "البرهان في أصول الفقه": حقٌّ على كل من يحاول الخوض في فن من فنون العلوم أن يحيط بالمقصود منه، وبالمواد التي منها يستمد ذلك الفن، وبحقيقته وحده،. والغرض من ذلك أن يكون الإقدام على تعلّمه، مع حظّ من العلم الجُمْلي، بالعلم الذي يحاول الخوض فيه.

ويقول ابن حزم في مقدمات (الإحكام) عن تحديد المصطلح وخطورته: " هذا باب خلّط فيه كثير ممن تكلم في معانيه، وشبك بين المعاني، وأوقع الأسماء على غير مسمياتها، ومزج بين الحق والباطل، فكثر لذلك الشغب والالتباس، وعظمت المضرّة، وخفيت الحقائق ". بل إن هناك من كتب رسائل في ألفاظ بعينها.

ويستمر العمل المعجمي الذي يُعنى بالمصطلحات في اطّراد؛ حتى رأينا في عصرنا معاجم في لغة الفقهاء ومعاجم للألفاظ: الاقتصادية، والعسكرية، والسياسية، ومصطلحات الأدب والفن، ودراسات المناهي اللفظية في الفصيح والعامي وغير ذلك.

ويقف كثير من أهل الفكر والنظر أمام القضية في دراساتهم: كأستاذي الدكتور عبد العظيم الديب (التبعية الثقافية) والدكتور القرضاوي: (كيف نتعامل مع القرآن؟) والأستاذ عمر عبيد حسنة: (رؤية في منهجية التغيير) ومقدمات بعض كتب مجلة الأمة مثل: (المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري – حول إعادة تشكيل العقل السليم – في شرف العربية) والدكتور عماد الدين خليل: (إعادة تشكيل العقل السليم) والأستاذ جمال سلطان: (غزو من الداخل) والأستاذ المودودي: (المصطلحات الأربعة) والدكتور صلاح الصاوي (الثوابت والمتغيرات) وعبد السلام البسيوني: (العقلانية/ والألوهية في العقائد الشعبية) وغيرهم.

كما اهتم كثير من المعاصرين بضبط ألفاظهم التي سيدور حولها الحديث في كتبهم: كالدكتور عبد الرحمن اللويحق في الغلو في الدين، والدكتور البيانوني في المدخل إلى علم الدعوة، والدكتور فهد الرومي في منهج المدرسة العقلية في التفسير.

وقفة مع أهل الترجمة:

ولعل من الإنصاف هنا أن نشير إلى أن هناك من يقع في فخ المصطلحات بكثير من حسن النية – خصوصًا المترجمين للألفاظ الإسلامية إلى اللغات الأوروبية – غير منتبهين إلى خصوصية المصطلح الإسلامي – إن كان اصطلاحيًّا – أو اللفظة القرآنية – في محاولة تفسيرها تفسيرًا ميسرًا – وإلى تحرك دلالات الكلمات، وإلى تنوع الاصطلاح الواحد، وتغير معناه بين أهل الفنون المختلفة، بل حتى في العلم الواحد (كلفظ المفرد في النحو العربي، وهو متعدد الدلالات).

ولإيضاح مقصدي أقول:

إن معاني المصطلح قد تتعدد وتتنوع بين أهل الفنون المختلفة، وبين الفصيح والعامي، وخذ – مثلًا –: كلمة الفاعل، وتنوع معانيها:

- فهي عند النحاة: (اسم مرفوع قدم عليه فعل تام مبنيٌّ للمعلوم أو شبهه، وأسند إليه).

- وعند الفقهاء: هو الزاني، أو من عمل عمل قوم لوط (فاقتلوا الفاعل، والمفعول به) وتُخص به الزانية إذا اقترن بتاء التأنيث.
- وهي عند المتكلمين: من يصح أن يصدر عنه الفعل، مع قصدٍ وإرادة (الفاعل المختار) ولها ظلال عند الفلاسفة: العقل الفاعل أو الفعّال.
- وفي اصطلاح الصحفيين: هو المؤثر (له دور فاعل).
- وهي عند العامة: من يقوم بالأعمال البدنية الشاقة.... وهكذا!

ويتتبع اللغويون تحرك دلالات الكلمة، وتحولها من معنىً إلى معنى؛ وقد يدفعهم التطور الدلالي إلى أن ينقلوا ألفاظًا إلى معانيها الجديدة المولّدة، مثل: كلمة "بسيطة" التي استجاز المجمع اللغوي إطلاقها على الأشياء غير المعقدة (جملة بسيطة – مشكلة بسيطة – فكرة بسيطة – مهمة بسيطة) يريدون بذلك يسر الأداء، وخفة النتائج، رغم أن أصل البسيطة: فعيلة بمعنى مفعول بها، أي: مفصلة مطولة (المبسوط للسرخسي، والبسيط للغزالي)، أو ممتدة مترامية الأطراف، ومنه سميت الأرض بالبسيطة.

وليس من هذا الباب – وهذا محل استطرادتي السابقة – نقل الألفاظ والمصطلحات الإسلامية إلى الإنجليزية – مثلًا – فبعض المترجمين يجعلون كلمة: وضوء مساوية لكلمة ablution، ودين مساوية لكلمة Religion، والله – تعالى – مساوية لكلمة God، ورسول مساوية لكلمة Prophet..

وهذه الكلمات (العربية الإنجليزية) غير متساوية في الدلالة على المعنى الشرعي، ولا مقاربة، فكلمة Ablution، تعني أكثر ما تعني – في ظني– التطهر بماء مقدس، كماء التعميد، أو ماء نهر الجانجا، أو الآبار المقدسة؛ لذلك فإنها تحمل ظلالًا وثنية، مترسبة في ذهنية أبناء اللغة الأصليين؛ لذلك فإن كلمة الوضوء = الوضوء فقط، ويشرح في الهامش أو في الصُلب معناها، كذلك كلمة gods، التي تعني: الآلهة الوثنية من الحجارة والخشب والبشر والبقر، يستحيل أن تكون مساوية لكلمة الله فكيف أسوي الله تعالى بـ Jesus، عند النصاري أو Yahweh عند اليهود؟!

وقد التفت لهذا مترجما معجم المصطلحات العربية في الأدب واللغة – تقليدًا للمستشرقين – أثناء تصنيف المعجم، إذ أثبتا بعض الألفاظ مكتوبة بلفظها العربي لكن بحرف لاتيني، وقد جاء في مقدمة المعجم: (بذلنا جهدًا كبيرًا في البحث عن المصطلح الإنجليزي المقابل للمصطلح العربي، في مؤلفات كبار المستشرقين، ووضعناه بجانب المصطلح العربي؛ بيد أننا لم نوفق دائمًا في العثور على هذا المصطلح.

وفي هذه الحالة أعدنا وضع المصطلح العربي بالحروف اللاتينية حسب نطقه في العربية، على نحو ما فعله كبار المستشرقين من قبل).

خصوصية الرؤية الإسلامية:

ولأن لعبة المصطلحات تصدر عن مناهج غير إسلامية – نفسية ولغوية، شاكة ومنحازة، علمانية ودينية – فإنها تحاول صبغ الإسلام بغير صبغته، وإلباسه ثيابًا غير ثيابه، وتتحدث عنه بقواعد مراوغة أو عدائية، بعيدة من الفهم الصحيح، والرغبة في الإنصاف، والحيادية المزعومة للمناهج الوضعية.

ولأن نصوص القرآن وحي – وكذلك السنة في معانيها – ولأن قراءة السابقين لها صادرة عن قناعة راسخة بأنهم يعبدون الله تعالى بقراءة هذه النصوص، والتفكر فيها، والاجتهاد في توجيهها، فإن قواعدهم ذات خصوصية تخالف – مطلقًا – طبيعة القراءة المتمردة، أو الملحدة، أو المعادية، التي يحاول المتطاولون إخضاع نصوص القرآن، والسنة، والتراث العلمي الإسلامي كله لها.

ويذهب الأستاذ سيد قطب – رحمه الله – إلى أن علينا – في استلهام القرآن العظيم – ألا نواجهه بمقررات سابقة إطلاقًا: (لا مقررات علمية، أو مقررات شعورية، من رواسب الثقافات، التي لم نستقها من القرآن ذاته، نحاكم إليها نصوصه، أو نستلهم معًا هذه النصوص وفق تلك المقررات السابقة، وأن على الباحثين أن يفعلوا هذا؛ ليقوم تصورهم نظيفًا من رواسب الجاهلية: قديمها وحديثها على السواء، مستمدًّا من تعليم الله وحده، لا من ظنون البشر، التي لا تغني من الحق شيئًا).

ومعرفة هذا الميزان، وفهم اللغة التي خوطبنا بها مما يعين على أن نفقه مراد الله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وسلم، وكذا معرفة دلالة الألفاظ على المعاني؛ فإن عامة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب؛ لأنهم صاروا يحملون كلام الله تبارك وتعالى، ورسوله صلى الله عليه وسلم على ما يدعون أنه دال عليه، ولا يكون الأمر كذلك.

أما دفع النصوص الإسلامية نحو الخضوع للمناهج والأطر الغريبة عنها، فأزعم أن أقل ما يوصف به أنه خيانة: خيانةٌ لميراث الأمة، ولعلمائها، ولمناهجها الفكرية، ولتفردها كمنهج يمتاز بالربانية في مصدره، كما أنه بيعٌ واضح لهذا الميراث لصالح أعداء الأمة؛ لأن المقدمات تشاهد بالنتائج، والسير في مبتدأ طريقٍ ذي اتجاه واحدٍ لا بد أن يؤدي إلى آخره، وهذا ما يعترف به المستغربون أنفسهم: (إن علاقتنا بالنظريات الغربية – كأية علاقة وضعية براجماتية – ذرائعية لا يمكن أن تؤدي إلاّ إلى النتائج التي توصلت إليها النظريات الغربية، وهي نتائج غير ملائمة لبيئتنا؛ لكونها جُردت من إطارها الاجتماعي والتاريخي، وانفصلت عن مسار تكوينها المعرفي فكل النظريات الغربية قد نتجت عن علاقتها بالعاملَيْن التاليَيْن: خصوصية مجتمعاتها وقضاياها الاجتماعية من ناحية، والحقل المعرفي الذي نمت بداخله، وطورت قضاياها النظرية المحدودة من ناحية أخرى.

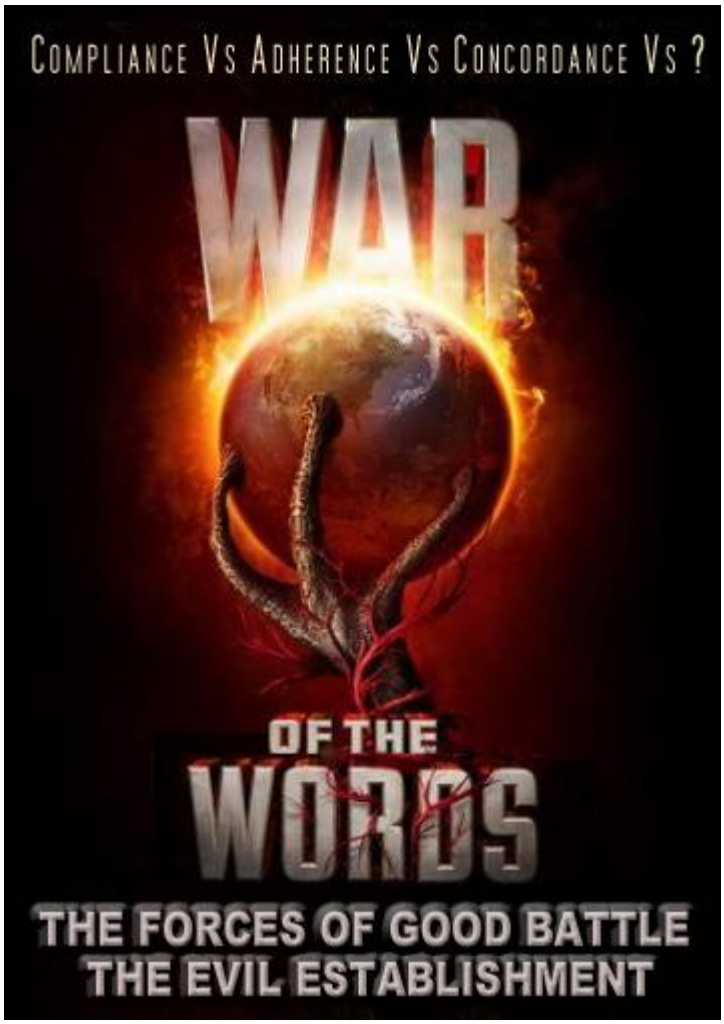

لماذا هذه السطور؟

بعد هذا السرد أرجو أن يوافقني القارئ الكريم على أن هذا الغزو شديد الفاعلية، قوي التأثير، يتسلل كالخلية السرطانية، إلى الذاكرة العربية والإسلامية، ويسكنها، ويبدأ عمله في تخريب وتدمير ما حوله، ويدمر عمله بأن يمكّن له في الأرض؛ عن طريق الإلحاح الإعلامي، وكثرة الدوران على ألسنة كتّاب ليسوا فوق مستوى الشبهات، منهجيًّا وعقديًّا.

وكثيرًا ما يسكن أفواه كبار الدعاة والكتّاب الإسلاميين – في غفلة منهم، أو في غمرة خصومة أو عصبية – فلن تخطئ عينك كلماتٍ مثل: (أيديولوجية، وأصولية، وإرهاب، وديمقراطية الإسلام، والعولمة، والإرهاب، والسلفية، وما شابه).

بل سأذهب لأبعد من هذا حين أزعم أن من الدعاة من يتحول إلى داعية لمصطلح بعينه، فيصير هاجسًا له، وزادًا يعلكه، وقضية (يناضل) من أجلها، حتى لو وقع في تناقضات مع نفسه، وابتلع مصطلحات متضاربة أشد التضارب، وربما كانت كَنَسيّة المصدر، صليبية الاتجاه، وربما كانت لعبة تسخر من (الأمميين) وتوقعهم في التضارب.

وإنك لو نظرت بأدنى تأملٍ لوجدت كثيرين ممن دعَوْا إلى الاشتراكية والعمعمة (أيام زمان) يدعون اليوم إلى الديمقراطية والخصخصة اليوم، ويتعصبون لها ويُنظّرون؛ على ما بين المصطلحين من تضارب، كما بين الليل والنهار!

أرأيت غفلة أكبر من هذه؟

ومنهم من يُصنع له المصطلح صناعة، فيصادف هوىً في نفسه، فينساق وراءه، غير منتبه إلى أنه يقاد إلى حفرة ستكسر قدميه، أو أقدام بعض السائرين معه في الطريق نفسه.

وليس آخر هذه المصطلحات مصطلح العقلانية – في مقابلة النصوصية – وضرب عددٍ من الشيوخ على وتريهما، كأن النصوصية جريمة، كما صارت السلفية جريمة، والأصولية جريمة على ألسنة بعض المتعصبين، الذين اجترأ بعضهم على وصف الإمام أحمد بأنه: نصوصيٌّ جامد، وليس فقيهًا ولا فيلسوفًا، وإنما هو معادٍ للرأي،

وكانت أهم أفعاله جمع النصوص: الحديث وهو نص، والقرآن وهو نص، والأخذ بالضعيف وهو نص، وأقوال الصحابة وهي نصوص، وكان يقف عند ظواهر النصوص وحدها، في حين اعتبر أولئك المجترئون المتخبطون أن العقلانية المؤمنة، ودفع العطاء الحضاري للإسلام كان على أيدي المعتزلة؛ فهم وحدهم – باعتبار المجترئين – فرسان العدل والحرية والفكر المستنير.

لقد صاروا دعاة للفكر الاعتزالي – مرةً بإيهامٍ، ومراتٍ بسفور وتبجح – على حساب أئمةٍ كبارٍ، وُصفت كتبهم بأنها نصوصٌ قديمة، ومفاهيم متجاوَزة، ليبتلع المنظّرون الجدد الطعم، أو ليطعمونا إياه، ويحولوا قيادة المسيرة – بدلًا من أحمد بن حنبل، وأبي حنيفة النعمان، والشافعي، وابن تيمية – لحساب الاعتزال بأطيافه كلها، إلى أقصى حدود التطرف.

المقاصد والأساليب:

والغزو المصطلحي ليس لمجرد اللهو، والعبث اللفظي؛ فمحاولات إطفاء نور الله تعالى بالأفواه محاولاتٌ قديمة، وإنما يراد به تحقيق جملة من المقاصد أوردُ بعضها على سبيل التمثيل لا الحصر:

1– إرهاب تيارات إسلامية بعينها، وإعلاء تيارات أخرى – وهذا يأتي في كثير من الأحيان من داخل الصف الإسلامي نفسه؛ فهناك ألفاظ قمعية – وهذا أقل ما توصف به في رأيي – كمصطلح الوسطية الذي تصف به بعض التيارات نفسها، في الوقت الذي يدمغون غيرهم بدمغة التشدد أو النصوصية أو " الظاهرية الجدد "، فصار هذا المصطلح كأنه نوع مصادرة للتيارات الأخرى بلسان المقال، كما تصادر بلسان الحال، وقد سرى هذا الاصطلاح بالذات في كتابات وخطب بعض رموز الصحوة – مع الأسف – رغم الشعار الشهير المرفوع دائمًا: " نتعاون، ويعذر بعضنا بعضًا " ولا أكاد أبرئ تيارًا إسلاميًا – ولا واحدًا، مع الأسف ثانية – من هذا الأمر.

2– تضليل الشباب المسلم، ودفعه إلى المراوحة مكانه، دون إحراز أي عمق في الوعي، ولا زيادة في العلم، ولا صدقٍ في التربية. فكثيرًا ما ينشغل الشبان بألفاظ

ومصطلحات تُلقى بينهم – عن عمد – لصرف أنظارهم عما يجري لهذا الدين – وإن ادعت أنها تعمل من أجله – أو لضرب بعضهم ببضع كلفظة القطبية أو السرورية أو المدخلية أو الطحانية التي قصد بها: التقسيم، وشق الصف، وشل الفاعلية.

3– قد تؤدي عبارة ما أو مصطلح ما إلى نتائج معروفة سلفًا كتحييد المتلقي؛ فلا يطرح العداء له بطريقة سافرة حتى لا يثير ذلك غضب الناس، وإنما يهاجَم الدين ويُعادى عبر مظلة اسمها: (تحليل التدين والسلوك الديني أو الوعي الديني) ولهذا يسارع رجال الاجتماع بوضع هذا (الختم) في بداية أي دراسة أو تحليل لهم للدين؛ لتحييد مشاعر القراء الذين لا يزال للدين مكانة في قلوبهم، ثم يطعنون في الدين في أول هذه الدراسة وهذا التحليل.

4– المغالطة المنهجية لتحقيق أغراض علمية أو سياسية أو غيرها؛ فقد يكون للمصطلح دلالة خاصة في تراثنا، فيجري تحريفها لصالح خصوم الإسلام.

إن بعض المصطلحات أصيل في تراثنا، ولكنه يستخدم الآن من منظور غربي، وبمفهوم غريب تمامًا عن مفاهيمنا، ونكتفي بمثال واحد هو لفظ: (الاجتهاد) الذي يحمل مفهومًا خاصًا، ودلالة تراثية محددة هي: (بذل الجهد والوسع وأقصى الطاقة في استخراج الحكم من الأدلة الشرعية). على حين يُستخدم هذا المصطلح الآن استخدامًا معكوسًا؛ فبدلًا من أن يكون الاجتهاد داخل النص تعرفًا على معطياته، واستنباطًا لأحكامه الآمرة الناهية – نراه يستخدم بمفهوم غربي غريب عن الاجتهاد المعروف في ثقافتنا الأصيلة؛ إذ يُعبَّر به الآن عن جهد بشري مطلقٍ من كل قيد، فلا تكون له علاقة له بالنصوص والأدلة الشرعية؛ حيث يرى بعضهم أن الدين تجربة مجتمع، ونتاج ظروف وبيئة معينة.

وهذا – أيضًا – ما يتيح لأمثال نصر أبو زيد وسعيد العشماوي وأركون وحسن حنفي وعلي حرب وإبراهيم محمود ومحمد شحرور، وحيدر زفت أن يُلغوا الميراث الإسلامي كله، بمفاهيمهم غير المنهجية وغير البريئة على ما نعتقد،

5- صناعة ولاءات جديدة، وزرع أفكار ذات جذور عقلية وعقدية لا تنتمي للإسلام وتراثه وحضارته عبر توظيف المصطلح توظيفًا خاصًا. وممن يستعملون هذا الأسلوب: المنصرون الذين نصوا في أكثر من وثيقة من وثائق مؤتمر كلورادو 1978 على أن استعمال اللغة يمكن أن يكون وسيلة تنصير، فاقترحوا – بمكرٍ – استخدام لقب "مسلمين عيسويين" على معتنقي النصرانية المرتدين من المسلمين، ليُبقوا جزءًا من ثقافتهم المحلية ووطنهم، وعدم استفزاز مشاعر الناس حولهم،

وكذلك مصطلح (مسجد عيسوي) للمكان الذي يلتقي فيه هؤلاء المرتدون (الكنيسة المحلية) وتحدثوا أيضًا عن (مسجد المسيح)، وكيف يمكن الوصول للمسلمين من أجل المسيح عن طريق تأويلات قرآنية، وتوظيف الحوار المضلل في التبشير؛ لأن الحوار الذي يتم بصراحة وأمانة قد يقود إلى كسب المسلم للنصراني وضمه لصف الإسلام،

ولقد انحشر بيننا – بكل أسف – عدد كبير من المصطلحات ذات الأصول الكهنوتية: كالأصولية والتنوير والعقلانية والعلمانية، بل كثيرًا ما يتحدث (مستنير متطرف) كأركون عن الإسلام الكهنوتي والأرثوذكسي والبطريركي، كما يتعاطى كثير من الحداثيين في الأدب مصطلحات: الخلاص، والصلب، والتعميد، والفداء، والقيامة، والأسفار، والمزامير، وما شابه!

6- تدمير الوعاء التعبيري للغة: إن خطورة الإسقاط المصطلحي – كما يقول جمال سلطان: كامن في جانب هام وماكر، فيه تدمير للوعاء التعبيري الذي تُقدَّم من خلاله الفكرة؛ مما يترتب عليه تدمير الفكرة ذاتها بمرور الوقت.

ولعل من أصرح ما يدلنا على هذا الجانب هو اعتراف (المستنيرين) أنفسهم – في أثناء كلامهم – بتركيزهم على هذا الأسلوب، وإثباتهم لما يؤدي إليه من نتائج.

أساليب جديرة بالتأمل:

ويعتمد الغزاة بالمصطلح جملة أساليب يجدر بي أن أتأمل بعضها؛ مع قابليتها للزيادة والتوسعة والتعميق والتأصيل، ومنها:

1- تقبيح مصطلحات شريفة في أصلها، ودفع أصحابها للخجل منها، أو المدافعة عن أنفسهم عند ذكرها، فما أشرف كلمات مثل: السلفية، والأصولية، والجهاد، والحريم، والنصوصية، والكتب الصفراء، والشهادة، والحياء، والعفاف!

لكن تناولها بطريقة ملتوية وموجهة جعل السلفية تهمةً، والأصولية جريمة، والجهاد سببًا للشنق، والحريم وصمة بالجهل والتخلف، والكتب الصفراء دلالة الجمود والظلامية، والنصوصية سببًا لسبّ الإمام أحمد لحساب ابن أبي دؤاد وبشر المريسي في دعاوى بعض المعاصرين من داخل الصف الإسلامي.

2- تحسين وتزيين مصطلحات خسيسة، لا علاقة لها بالإسلام؛ بل هي إما كَنَسيّة المصدر، أو ملحدة، كمصطلحات: الحتمية، والعقلنة، والأصولية، والتنوير، والحداثة، والعلمنة، والمعاصرة، ونشرها على الألسن حتى تصير مقبولة مرتضاة، وتجد بين

المسلمين دعاة لها، كما هو الحال مع: فؤاد زكريا، وجابر عصفور، والطيب تيزيني، وأدونيس، وأركون.

3- تحريف مصطلحات ذات أصول إسلامية، وإعطاؤها دلالات جد يدة: كالاجتهاد، والرأي، والعورة، والحق، والشورى، والعدالة، والحاكمية؛ ليكون الاجتهاد من حق كل أحد، وكذلك الرأي - حتى في المعلوم من الدين بالضرورة - والعورة الخلقية المعنوية فقط، والحاكمية للإنسان لأنه - في الدعوى - على كل شيء قدير؟

4- ابتكار مصطلحات جديدة وطرحها، وتحديد مفاهيمها ابتداءً وفق رؤية عدائية تجاه الإسلام والمسلمين كالإرهاب والتطرف والعولمة، والإلحاح عليها حتى يصطلح عليها بعض أبناء المسلمين ليوظفوها ضد إخوانهم وبني جلدتهم.

وقد يُتخذ هذا منهجًا مراوغًا عن طريق طرح مصطلحات جديدة مستحدثة، مع إعطائها مضمونًا عامًّا غير منضبط، مما قد توافقهم عليه من الوجهة المبدئية، فضلًا عن جمال المصطلح الشكلي: كاصطلاح الاستنارة أو المعاصرة أو التقدمية، ونحو ذلك؛ فإذا استقر المصطلح في ذهن المتلقي على أنه حقيقة ثابتة فإنهم يبدؤون في طرحه بمضمون محدد، وأفكار منضبطة، تؤدي إلى هدفهم المنشود، في غرس الفكرة الغربية في (النظرية) الإسلامية.

5- تخفيف رد الفعل الرافض لبعض الألفاظ المباشرة واضحة المخالفة للشريعة وتمريرها بين غير المدققين، كمصطلح الاشتراكية أو الاشتراكية العلمية - بدل الشيوعية - الذي طرح بقوة في بلاد المسلمين، ومصطلح العلمانية بدل اللادينية أو الإلحاد.

ويدخل في هذا ليُّ المصطلحات ذات الدلالة الأخلاقية: كتسمية الخمر مشروبات روحية - ترجمة لكلمة (SPIRITS) - وتسمية الرقص فنًا، والربا فائدة، والاستباحة اجتهادًا، والدعارة حرية شخصية.

هذا؛ وللموضوع بقايا وحواشٍ لا تحتملها هذه المقدمة المحدودة، ولعل فتح هذا الباب يوجد فرصة مناسبة - بمشيئة الله تعالى - لكثير من الكتاب والمفكرين بتحرير كثير من المصطلحات المطروحة على الساحة في مجالات الفكر والأدب والسياسة

والفن والتراث الدعوي، وأتوقع أن يكون هذا المسار تأصيلًا منهجيًا معجبًا يسد ثغرة، ويواصل عملًا بدأه السلف رضوان الله عليهم، ويحمي العقل الإسلامي من الذوبان أو الانهيار، ويضيء الطريق أمام الباحثين، ويكشف الكثير من الشبهات والأضاليل التي تطرحها الألفاظ التي تُغزى بها الأمة.

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

كتب المقالة مدخلًا لسلسلة مقالات عن المصطلحات في مجلة البيان، ونشرت في العدد 137/ الاثنين: 23/ 4/ 2001

مراد ولِفِرِدْ هوفمان: أزمة الغرب: الإسلام هو الحل

هذه قراءة لعلاقة الإسلام بالغرب، قام بها – قبل 11 سبتمبر المشؤوم – المفكر الألماني المسلم، والدبلوماسي الدكتور مراد هوفمان.. حاول فيها أن يردم الفجوة بين المسلمين والغرب.. ويضع علامات إيجابية يحتاجها المسلمون.. كما يحتاجها الغربيون في علاقاتهم بالعالم الإسلامي..

فهل لا يزال لهذه القراءة نصيب من الواقعية والفاعلية؟ دعني أترجمها قارئي العزيز بشيء من الاختصار غير المخل إن شاء الله:

- خراب الحضارات يبدأ وينتهي عند العائلة!
- لماذا لم ينجح ملايين المسلمين المقيمين في أوروبا الغربية في الخمسين سنة الماضية، في تحويل عدد كبير من أهل البلاد إلى الإسلام؟
- يعاني العالم الإسلامي من معوقات ورذائل: كالأمية، والفقر، والفساد، والظلم الاجتماعي، والتعذيب، والبلادة، وزرع الفتن، وقلة التحمل، والانفراد بالسلطة، والتمييز ضد النساء، والمادية المتزايدة.
- الانقسامات المذهبية بين المسلمين موجودة في انجلترا وألمانيا؛ تمامًا كما هي موجودة في الهند أو تركيا، لدرجة أن الغربيين المهتمين بالإسلام يصيبهم التشوش!
- معظم المسلمين المهاجرين إلى أوروبا الغربية – وعلى العكس من إخوانهم وأخواتهم من المسلمين الأمريكان – خرجوا من ديارهم بحثًا عن التسامح، ولكي يجدوا المعاملة اللائقة، على أساس من القانون والإنصاف.
- غير صحيح – سياسيًّا – أنهم لا يعادون الإسلام.. نعم إن معاداة اليهودية والسامية شيء محظور – هناك – وغير قانوني، أما معاداة الإسلام والعرب فنعم!
- تمثل الحضارة المعاصرة – بمقاييس التاريخ الإنساني العالمي – أول مجتمع عرفته البشرية في تاريخها يعيش دون روابط غيبية إيمانية، وأول مجتمع عرفته البشرية يقوم على أسس معرفية إلحادية.
- في أثناء بحثها عن الحقوق التي تريدها أختها الغربية كانت المرأة المسلمة أكثر توفيقًا في الدفاع عن كرامتها؛ من خلال التقيد بالعادات وبالشريعة!
- يتجه كثير من المهاجرين المسلمين إلى تشكيل مجموعات عرقية متماسكة، توفر لهم الخدمات الاجتماعية الأساسية، والإحساس بأنهم في أوطانهم.

أولًا: الجاليات الإسلامية في الغرب

1- الاتجاهات والتأثيرات:

لو تجاوزنا – جغرافيًّا – إستانبول وتركيا، وطبقًا للتقديرات المعتبرة فإن نحو ثلاثين مليون مسلم يعيشون حاليًّا في أوروبا، نصفهم في البوسنة، والجبل الأسود، وصربيا (وإقليم سنجق في نوفي بازار) ومنطقة كوسوفو. ويعيش النصف الآخر في أوروبا الغربية.

أما في أمريكا الشمالية – وبشكل رئيس في الولايات المتحدة وكندا – فيقدر عدد المسلمين – الذين يتزايدون باطّراد – بين ستة وثمانية ملايين، يشملون رقمًا لا بأس به من المسلمين الأمريكيين من ذوي الأصول الأفريقية.

وقد نتج الوجود الإسلامي في أوروبا الغربية عن هجرة واسعة النطاق، فيما بعد الحرب العالمية الثانية، لخليط عرقي يضم أعدادًا ضخمة من العمالة غير الماهرة، منها نحو مليونين وعُشر المليون (2.1) من الأتراك في ألمانيا، ونحو أربعة ملايين من المغاربة في فرنسا، ونحو ثلاثة ملايين هندو/ باكستاني، وبنجلاديشي يقيمون في بريطانيا.

وطبيعي أن تختلف اتجاهاتهم وتأثيرات وجودهم اختلافًا عظيمًا، عن اتجاهات وتأثيرات المسلمين الموجودين في أمريكا الشمالية، حيث تجذّرت هذه الجاليات الإسلامية هناك من هجرات الطلاب والأكاديميين ومعتنقي الإسلام من المواطنين الأمريكيين السود.

إن ارتباط الحضور الإسلامي العريض في أوروبا بمجموعات عرقية يسهُل تصنيفها وحصرها، يُعدُّ مشكلة كبيرة، حيث يشتد التحامل على الوجود الإسلامي؛ بناءً على قرون ماضية من الذكريات المتراكمة التي يعزز بعضها بعضًا.

وعلى سبيل المثال فإن الألمان يزعمون أنه فيما بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر شكلت الإمبراطورية العثمانية تهديدًا عسكريًّا عظيمًا ومستمرًّا للنصارى في أوروبا الوسطى. وقد اعتبر الإسلام – ومنذئذٍ – دينًا تركيًّا، واعتبر القرآن الكريم (إنجيل الأتراك).

هذه حقيقة تؤثر سلبيًّا على مجموع العمال الأتراك الوافدين الذين يعملون في النمسا وسويسرا وألمانيا، وكأن لسان حال الناس القلقين هناك هو هذا السؤال الملحّ: هل سيحققون – أي الأتراك – من خلال الهجرة السلمية الخادعة ما عجزوا عن تحقيقه بسيوفهم المعقوفة الحادة، حين أرادوا غزو فيينا؟!

ويشبه هذا ذكريات غزو المستعمرات واستباحتها؛ إذ يعقِّد ذلك موقف المغاربة والتوانسة والجزائريين في فرنسا، وكذا موقف المسلمين من شبه القارة الهندية في بريطانيا. أما بالنسبة للفلسطينيين فإن مشكلتهم قد زادها تفاقمًا الإعلام الصهيوني، الأمر الذي شكّل لهؤلاء الفلسطينيين عائقًا عظيمًا في أمريكا الشمالية.

2– وفي مواجهة هذه الخلفية فإن اتجاهات الجاليات المسلمة المقيمة في الغرب تختلف بشكل واضح، وكذا إمكاناتهم الدعوية، نتيجة لما يلي:

أ – الجيتوهات (أحياء الأقليات):

يتجه كثير من المهاجرين المسلمين – وبخاصة عند العجز عن القراءة والكتابة، وضعف أدائهم لِلُغة البلد المضيف – يتجهون بشكل طبيعي إلى تشكيل مجموعات عرقية متماسكة، توفر لهم الخدمات الاجتماعية الأساسية، والإحساس بأنهم في أوطانهم.

وفي هذه المرحلة فإن التراث الشعبي – والإسلام جزء منه! (1) – يصير دائمًا أكثر أهمية للجيل الأول من المهاجرين، أكثر مما كان يشكله أثناء وجودهم في بلادهم الأصلية.

وفي الوقت نفسه فإن هذا الجيل – الذي اضطر لترك بلاده، نتيجة أسباب اقتصادية لا أمنية على الأكثر – سينوي العودة بأبكر ما يستطيع بمجرد أن يتجمع لديه مقدار كافٍ من المال.

بناءً على هذا فإن الجيل الأول لا يستثمر بكثافة في مجال المؤسسات والمعاهد الدينية؛ بل إنه لم يكن يُتصور منهم أن يقوموا بالدعوة في بيئاتهم الجديدة غير المسلمة.

وبدلًا من ذلك فإنهم استماتوا في الدفاع عن تقاليدهم الخاصة: (الموسيقى، والاحتفالات، والأزياء، والعادات الاجتماعية) واستمروا في التركيز على بلادهم الأصلية؛ خصوصًا القريبة من أوروبا، كمسلمي شمال أفريقيا وتركيا.

وثمّ بعض وجوه الشبه بين مسلمي أمريكا الشمالية وهؤلاء، تتمثل في مساجد (الهنود) ومساجد (العرب) ومساجد (السود).

وفي الجملة فإن التجمعات الإسلامية هناك أفضل اندماجًا من الناحية الاجتماعية، وأمر اندماجهم لا يزال مضطردًا.

وفوق هذا فإن كثيرًا من أفراد هذه التجمعات مدربون أكاديميًا، وناجحون وظيفيًا بشكل كبير. كذلك فإن أوطانهم الأصلية نائية، وهم على كل حال (أي المسلمون الأمريكان) لا ينوون ولا يملكون الإمكانيات للعودة – باختيارهم – إلى مواطنهم الأصلية لأسباب سياسية.

ب– بناء المعازل (الجزائر السكانية).

وبمرور الوقت يفشل الجيل الأول من المسلمين المهاجرين – غالبًا – في تحقيق حلم العودة لمواطنهم الأصلية، على أقل تقدير لأن الجيل الثاني (أبناءهم) يرفضون أن يرافقوهم في رحلة العودة.

ويشعر هؤلاء الأبناء – في الحقيقة – بالتفرقة في كلا المجتمعين، (مجتمعهم الأصلي، ومجتمع المهجر الذي شبّوا فيه) فهم لا يملكون من اللغة القديمة (الأصلية) ولا من اللغة الجديدة (المهجرية) ما ينافسون به غيرهم.

عند هذا المحك يقرر أبناء المسلمين المهاجرين إقامة بنيتهم التحتية الإسلامية؛ بما فيها المراكز الإسلامية، والمساجد التي تقام في (العلّيّات) والأفنية الواسعة والأدوار العليا لتمثل المسجد الحقيقي بمآذنه.

والواقع أن هذا هو الحال في كل مكان في أوروبا (من فنلندا بجالياتها التتارية والصومالية إلى السويد وهولندا والمجر وإيطاليا وأسبانيا).

وفي ألمانيا وحدها فإن استعداد المسلمين للبناء والاستثمار سنة 1998م أسفر عن قيام (2500) ألفين وخمسمائة من المراكز والمنظمات الإسلامية، لا يزال معظمها ملتزمًا خطوطًا وطنية، وأشدّها قوة في ألمانيا هي المؤسسات التركية الخاصة مثل ملّي جورش، والحركة السليمانية (vikz) والحركة النورسية (نورسولوك) المنسوبة للمفتي الكردي الراحل سعيد النورسي.

وقد استغرقت هذه المنظمات الآن في العمل الدعوي، لكنها تقتصر – للأسف – على جهود الدعوة الدفاعية التي ترمي إلى حماية الذات (أي بين المسلمين فقط).

وبناءً على وعود شخصية ومساعدات مالية تقوم جزائر إسلامية يمكن أن يشعر فيها الترك أو البوسنيون أو الألبان أو الإثيوبيون كأنهم في بلادهم، ويحافظون على إسلامهم من خلالها.

وإن بواعثهم الدفاعية قوية؛ لدرجة أنهم لمّا يستطيعوا أن يبذلوا جهدًا حقيقيًّا للتفريق بين ما هو من العادات (والذي هو شيء حضاري خالص) وما هو مبني – أساسًا – على الشريعة.

ونتيجة لهذا فإن الانقسامات المذهبية موجودة في انجلترا وألمانيا؛ تمامًا كما هي موجودة في الهند أو تركيا، لدرجة أن المواطنين المحليين المهتمين بالإسلام يصيبهم التشوش؛ إن لم يبتعدوا كلية عن المسلمي ن.

وهذا يوضح – بجلاء – لماذا لم ينجح ملايين المسلمين المقيمين في أوروبا الغربية في تحويل عدد كبير من أهل البلاد إلى الإسلام.. ففي ألمانيا وحدها مليونان من الأتراك الذين لم ينجحوا طوال ثلاثين سنة في أن يجذبوا إلى الإسلام أكثر من 60.000 ألماني.

وهذه النتيجة المؤسفة ستبقى – على كونها سلبية – زمنًا أطول، ما دامت غالبية الأتراك مستمرة في تركيز اهتمامها على إعادة أسلمة تركيا الكمالية، بدلًا من الدعاية للإسلام في ألمانيا نفسها.

مرة ثانية أقول إن الصورة في أمريكا الشمالية أكثر إشراقًا؛ فالأمريكيون من ذوي الأصول الأفريقية لا يعدّون مهاجرين، لكونهم بلا وطن يركزون عليه غير أمريكا نفسها.

كما أن المهاجرين المسلمين كذلك – خصوصًا ذوي الأصول الفلسطينية والسورية والعراقية واللبنانية والمصرية – هم أكثر إصرارًا وتنظيمًا من خلال روابطهم العرقية. وهم قادرون – عقليًا – على أن يكونوا على قدم المساواة مع غيرهم من الجاليات الأخرى، (للتفاعل) مع بيئتهم غير المسلمة والتأثير فيها.

كما أن لهم بنيتهم التحتية الإسلامية التي تضم المدرسة العليا للدراسات الإسلامية الاجتماعية، في ليسبرج (فرجينيا)، والجالية الإسلامية في أمريكا الشمالية (إسنا I.S.N.A) ومجلس العلاقات الأمريكية (I.I.S) في لوس أنجلوس.

وهذه المؤسسات – على قلتها – تتفاعل مع الرؤية الأمريكية حولها، وأصحابها مستغرقون تمامًا في شرح الإسلام (لكل من يهمه الأمر).

ج – التحدي

إن التحدي الأكبر الذي يواجه المسلمين في أوروبا وأمريكا الشمالية هو: الجيل الثالث من المسلمين، الذي ينبغي أن يؤسس مجتمعات إسلامية مختلطة بالكامل، وستكون محكومة بعامل أو أكثر من العوامل العرقية.

وهذه المجتمعات المتكاملة لا بد أن تركز بأقل قدر على ذاتها، وبأكثر قدر على العالم المحيط بها، من أجل الدعوة لإسلام عالمي نقيّ غير مشوب.

ثانيًا: ما الذي نهدف إليه؟

1- الإصرار:

كما شخّصنا – وحتى الآن – فإن معظم المسلمين المهاجرين إلى أوروبا الغربية – وعلى العكس من إخوانهم وأخواتهم من المسلمين الأمريكان – خرجوا من ديارهم بحثًا عن التسامح، ولكي يجدوا المعاملة اللائقة، على أساس من القانون والإنصاف.

وهذا الاحتمال – هو الآخر – ربما كان طبيعيًا بالنسبة لهؤلاء المهاجرين الذين ليس من السهل عليهم الحصول على جنسية البلد الذي ارتضوه مهجرًا لهم، كما في ألمانيا.

وما دام الإنسان واقعًا تحت ضغط المخاطرة بترك بلاد المهجر (بالترحيل والإبعاد) فهو – غالبًا – لا يملك الإصرار (على الدعوة) لذا فليس من المبالغة أن نقول إن الشعوب الأوروبية الآن – ورغم ملايين المسلمين الذين يعيشون وسطهم – يعرفون عن الإسلام أقل كثيرًا مما كانوا يعرفون حين دفعهم الفضول لمعرفة الشرق من خلال الاستشراق وأدب المغامرة.

شيء مؤسف.. ولكنه حقيقة.

2- التفاؤل:

ومهما كان الحال فإن عجز العمل الدعوي في القارة العجوز ليس راجعًا – فقط – للحالة الهزيلة للمهاجرين، ومستواهم التعليمي، واستغراقهم في شؤونهم الخاصة، وأمور مواطنهم الأصلية.

فهناك قدر لا بأس به من التشاؤم القاهر الذي يدخل ضمن الأسباب، انعكاسًا للاتجاهات السلبية المتأصلة ضد الإسلام في أوروبا (2)

ومن الطبيعي أن نفترض أن المسلمين يمكنهم أن يتوقعوا " التسامح " في أحسن الأحوال، و" التمييز " في أسوئها.

3- الحكمة التكتيكية

قد يكون من الحكمة التكتيكية – حقًا – أن نتأنى في رسم أهدافنا، وألا نكون – كذلك – خياليين عند رسمها.

فأوروبا – رغم كل شيء – لم تكن أبدًا قارة متعددة الأديان، وفق الموازين الدينية.

والحق أن تقاليدها الموروثة في التعصب الديني، المبنية على الحماسة – حماسة التبشير بالنصرانية – وروح الانتصار، كانت بسبب ظهور دين جديد (الإسلام) ظل يمثل لجماهيرها مشكلة نفسية كبيرة.

ومما يجعل الأمور أشد سوءًا أن الإسلام – على عكس البوذية مثلًا – هو الدين الوحيد الذي اعتبر التهديد الأكبر، والفكرة القادرة على مناوأة النصرانية، وذلك على مدار أكثر من ألف سنة..

فهل يمكن أن نتوقع أن الإسلام المهرطق (في نظر النصرانية) يمكن أن يجد ترحيبًا، أو يشجَّع وجوده الآن؟!

إننا لا يمكن أن نتوقع أن تزول – نفسيًّا – في ليلة واحدة تلك الآثار الأثيمة للدعاية المضادة للإسلام، التي بدأت منذ الحروب الصليبية، والمحاولات المتكررة لفتح العالم الإسلامي، وصولًا إلى القرن العشرين، وهي تحمل الصورة النمطية ذاتها للمسلم.

فهل من المعقول أن نفترض قبولهم ارتفاع منارات المساجد بجانب الكاتدرائيات من الناحية الأيديولوجية، كما هو من الناحية النظرية؟

الحقيقة أنه حتى لو قُبلت عملية إنشاء منارات محدودة الارتفاع – ولو بشيء من التذمر هنا وهناك – فإن مقاومة الأذان الذي (يشهد) أن محمدًا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أمر يلقى عنادًا وصلابة، اللهم إلا في بعض الأماكن النائية مثل فينكس في أريزونا.

ومع قولنا بأن هذا الصراع متوقع، فقد يكون من الحكمة عدم إثارة مخاوف الناس بفرض تغيير جذري للنموذج المتكون في أذهان الغربيين، الذين بُرمجت عقلياتهم – عبر القرون – بشكل معادٍ للإسلام، بواسطة حملات التضليل المدروسة.

ويتمثل المحذور الجوهري في حقيقة أن الإسلام في انتشاره، يبدو وكأنه تهديد لنمط الحياة الغربية بكاملها؛ ابتداءً من الفردية المفرطة، وإذكاء الشهوات، واللا أدرية، وانتهاءً بالتدخين، وشرب الخمر، وأكل الخنزير.

وإن الخوف من رد فعل شعبي عام – في حالة إحراز نجاح واضح وسريع – هو خوف مبرَّر تمامًا. وهذا يفسر نمو الأجنحة اليمينية كما في فرنسا وألمانيا، وكذا المجموعات الأصولية النصرانية عالية التسلح، التي تتبنى برامج متهورة ضد الإسلام. الأمر الذي يجب – حقًا – أن نحذره.

وغير صحيح – سياسيًّا – أنهم غير معادين للإسلام.. نعم إن معاداة اليهودية والسامية شيء محظور – هناك – وغير قانوني، أما معاداة الإسلام والعرب فنعم.

4– تحدي التنوير

إن التشاؤم بشأن فرص الدعوة يبدو أمرًا مبررًا بقوة، بناءً على اتساع وجهة النظر الحداثية القائلة بأن الإنجازات الغربية فيما بعد التنوير هي قيم عالمية، لا بد أن تحاكى على مستوى الدنيا كلها.

وفي هذا إشارة – قبل كل شيء – إلى نظام وستمنستر الديمقراطي (3)، والنظام الجمهوري، والعلمانية، والعلمية، والصياغات الغربية لحقوق الإنسان – بما فيها مساواة وتحرير المرأة – وحتى التعددية فيما بعد الحداثة تفترض – بأشكال متفاوتة – أن الإسلام يتعارض بشكل أساسي مع برامج العولمة الثقافية والسياسية.

5– ليس التسامح، بل القبول:

وبعد: فإنني – ضد كل التحيزات – أسلّم بقوة أنّ على المسلمين – في كل مكان بالغرب – أن يهدفوا في دعوتهم إلى ما هو أكبر من التسامح: إلى القبول.

وقد أدرك يوهان ولفجانج فون جوته – منذ مائتي عام – أن التسامح قد يساوي الإهانة حين قال: (إن التسامح الديني ينبغي حقًّا أن يكون اتجاها انتقاليًّا، مؤديًا إلى القبول. أما التسامح المطلق فإنه يساوي التحقير والإهانة).

إن التعددية الأمينة، كما وردت في سورة المائدة/48 (4) تقتضي الاعتراف المتبادل: القبول والتساوي. وهذا الهدف جوهري، لأن القبول – وليس مجرد

التسامح – هو الذي سيوضح أن الأقليات الإسلامية وأنشطتها هي أشياء عادية تمامًا، وسيصير الإسلام في أمان (حينما وأينما) يصير في حالة تطبيع كاملة.

6– حالة التطبيع (الاعتياد التام)

إن ما يعنيه التطبيع – في ضوء التعددية الدينية – يمكن أن يلاحظ في دمشق أو القاهرة أو عمّان أو استانبول، كما يمكن أن يلاحظ في أمريكا الشمالية كذلك.

وبعد قرون من الحروب النصرانية الداخلية – فيما بين نصارى أوروبا – أصبحت الأمور عادية – على أقل تقدير – لكي ترى كنائس الكاثوليك وكنائس البروتستانت وقد تجاورت، أو تقاربت في قلب المدينة.. ولكن هذا لا يكفي، فعندما يضاف المسجد على المشهد، يمكننا – عندئذٍ – الحديث عن التطبيع في أوروبا وأمريكا الشمالية وعن تطوره.

وتعطينا الكنيسة الكاثوليكية مثلًا لما تعنيه حالة التطبيع، فقد قطع المجلس الاستشاري بالفاتيكان – الذي انعقد في روما أوائل الستينيات – قطع شوطًا كبيرًا في الاعتراف بالإسلام كطريق صالح للخلاص، لكن روما رفضت – ولا تزال – الاعتراف بمحمد صلى الله عليه وسلم مرشدًا أصيلًا في هذا السبيل..

وهنا يبدو الفرق ملموسًا بين القبول والتسامح.. فقط حينما يقبل محمد صلى الله عليه وسلم رسولًا لله تبارك وتعالى عندهم (وكذا القرآن الكريم كلامًا لله عزوجل) فإن الحوار اللاهوتي النصراني الإسلامي – الذي سيكون بين أكفاء – سيكون عندئذٍ معقولًا.

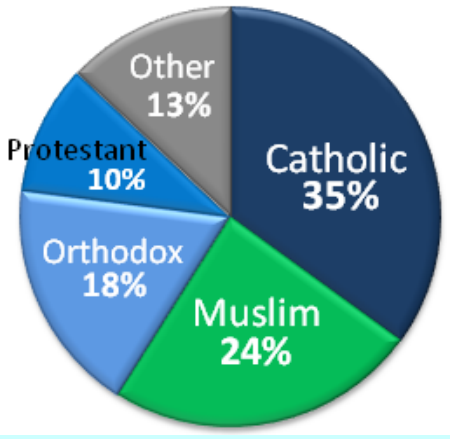

Arab American **religions**

ثالثًا: ما الذي يحتاجه الغرب

1- الطلب مقابل العرض

في رأيي أن الدعوة الإسلامية ستحرز تقدمًا في الغرب – فقط – حينما يقبلون الإسلام هنالك كشيء عادي.

وإن التطبيـــع لا يمكـــن أن يحدث حينما يظهر المسلمون – أمام الغربيين بأنهم لا همّ لهم إلا الحصول على شيء ما (التسامح، أو المواطنة، أو الحماية القانونية، أو القبول) بل عندما يظهرون كأشخاص يملكون شيئًا هامًا يقدمونه، شيئًا ينقص الغرب بشكل واضح، شيئًا يحتاجه الغربيون بشدة لكي يستمروا كحضارة.

وإن استراتيجيات الدعوة الصحيحة بين الغربيين – وبالذات للجيل الثالث من المهاجرين – تحتاج قبل كل شيء إلى تحليل متوازن للثقافة الغربية المعاصرة، وللمعتقدات هناك. وينبني على هذا لزوم التقديم المقنع للإمكانيات الشافية للإسلام (الإسلام وسيلة علاج).

2- النصر الفارغ

قد يكون الغرب قد انتصر أيديولوجيًّا، وعسكريًّا، واقتصاديًّا على الشيوعية. وقد تبدو الولايات المتحدة – منذ اختفاء الاتحاد السوفييتي – القوة العظمى الوحيدة الباقية.

كذلك فإن العولمة التكنولوجية والاقتصادية تبدو طريقًا ذا اتجاه واحد اضطراريّ، يتجه من الشمال إلى الجنوب، ومن الغرب إلى الشرق.

وقد يبدو الغرب هو القائد اعتبارًا بالدخول المالية العملاقة، ونسبة من يعرفون القراءة والكتابة، ومتوسطات الأعمار، وضوابط حقوق الإنسان؛ بما فيها المشاركة السياسية.

هذا كله قد يكون مسلّمًا.. لكن: ماذا بعد؟ هل هذا هو الفردوس الذي على أثره تدق نواقيس نهاية التاريخ (كما يرى فرانسيس فوكوياما) ويتضخم الاستعداد لصدام دموي مع الحضارات الأخرى (كما يرى صمويل هنتنجتون)؟

إن هذا يشكل – في مفهومه العميق – أزمة وجودية على المستويين النظري والتطبيقي.

3– نقض التنصير:

ولتقديم تصور صحيح للحالة الأخلاقية في العالم الغربي، فإن من الضروري إدراك تفرد الحضارة المعاصرة؛ بمقاييس التاريخ الإنساني العالمي :

فهي تمثل أول مجتمع عرفته البشرية في تاريخها، يعيش دون روابط تربطه خارج حدود البشرية (غيبية إيمانية)!

وأول مجتمع عرفته البشرية – في الحقيقة – يقوم على أسس معرفية إلحادية (أو على الأقل لا أدرية).

وقد دخلت أوروبا – أكثر من الولايات المتحدة – عصرها الذي يمثل الخروج على النصرانية (عصر ما بعد النصرانية). ولقد انخلع الأوروبيون من النصرانية إلى حد لم تعد النصرانية فيه عاملًا محركًا في السياسة أو الاقتصاد. وبالكاد في جانب العلم – فهي لا تؤثر في إنتاج التكنولوجيا– وفي الأخلاق الخاصة (الشخصية).

ورغم أن عدةً من المفاهيم الأخلاقية – في الحياة العامة – لا تزال تتدثر بأزياء نصرانية، فإن المادية المطلقة، والإلحاد الفلسفي، والنسبية الأخلاقية تحكم أوروبا.. وهذه حقيقة قائمة في الميادين كلها هناك.

والحق أنه برغم جيوب الإحياء النصراني الموجودة هنا وهناك، فإن سقوط الدين في الغرب قد وصل لحدّ أن جنود العصور الوسطى – من النصارى والمسلمين – كانوا يؤمنون بالله تعالى ودينه أكثر منهم الآن، وحتى في أسوأ فترات المواجهة الأيديولوجية فإن الناس عمومًا كانوا يعرفون عن الدين أكثر مما يعرفون الآن!

4– عصر ما بعد النصرانية:

أنا لا أزعم هنا ان النصرانية قد زالت، فلا تزال الكنائس قائمة كمعاهد أو مؤسسات، ولا يزال البابا يلقي أوامره للجماهير، ولا تزال التأثيرات بعيدة المدى للتعاليم النصرانية باقية – وستظل – معنا لوقت طويل.

والواقع أن هناك حركة تبشيرية أصولية (تعود إلى الجذور الأولى) تندفع في طريقها؛ متمثلة في الميليشيات الأصولية النصرانية – خاصة في الولايات المتحدة – كما أن هنالك محاولات كهنوتية بتبني النصرانية، ونشرها عبر اهتمامات وتقنيات عصر الإعلام؛ على أمل جعل الإيمان النصراني أشد رسوخًا مرة أخرى.

والحق – كما ذكر القرآن الكريم – أن النصارى الحقيقيين – المطبقين لتعاليم النصرانية – هم الأكثر استعدادًا – على المستوى المحلي – للتعاون مع المسلمين في الشؤون الاجتماعية. وهذا حق في جانب المعسكر البروتستانتي أكثر منه في جانب المعسكر الكاثوليكي أو الأرثوذكسي.

وهؤلاء النصارى يعلمون أنهم كما أصبحوا أقلية دينية في الغرب قد صاروا يركبون القارب نفسه مع المسلمين، وهم جميعًا يطفون في بحر من الإلحاد دائم الاتساع.

وبالإضافة إلى ذلك فإن ثمة نوعًا من التيه الديني الذي يشكل ظاهرة نصرانية عالمية، فالشبان الذين يضلون طريقهم في الحياة، ويحسون بالفراغ في أثناء بحثهم عن مرسىً ديني، وعن الانتماء والسلطة، ينتقلون من مرشد روحي إلى آخر، ومن مذهب ضيق الانتشار قليل الأعضاء إلى مثله، بما في ذلك الأشكال المستغربة من البوذية والأرواحية والنحل الأخرى الجديدة.

5– مشروع الحداثة الفاشل:

وهذا كله – إلى جانب ردود الفعل المعاكسة – لا يبشر، ولن يبشر على كل حال بتغير درامي ثوري للأنموذج الغربي المهيمن، أو للمشروع الحداثي، والإفرازات المتواصلة لما يسمى عصر العقل وتنوير القرن الثامن عشر.

والمسلمون الذين يحاولون أن يواجهوا هذا الموقف ينبغي أن يصدروا عن تحليل شديد العمق، لهذا الأنموذج الفائق النجاح، والفائق الخطورة.

أ. تعديل (تنقيح) التنوير

إن التواريخ العقلية للعالمين الغربي والإسلامي، قد تطورت – قليلًا أو كثيرًا – بشكل متوازٍ، حتى عصر النهضة الذي فيه تحول الاهتمام في الغرب من الله (عز وجل) إلى الفرد.

وجاءت فترة التوقف النصراني في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، حين حرر المفكرون الأوروبيون أنفسهم بشكل تدريجي من هيمنة الكنيسة، بتعزيز مكانة العقل البشري؛ باعتباره السلطة العليا في قضايا الإيمان.

وكانت الأسماء الكبرى – بالطبع – من الفلاسفة أمثال رينيه ديكارت (1596 م – 1650م) وجوتفريد ويلهلم ليبنتز (1724م – 1804م) وكذا من الكتّاب الكبار مثل فرانسوا فولتير (1694 م – 1778م) وجوتهولد إفرايم ليسنج (1729م – 1781م) ويوهان ولفجانج فون جوته (1749م – 1832م) والملك فردريك الثاني الكبير ملك بروسيا (1749م – 1832م).

وهؤلاء الأشخاص لم يكونوا ملاحدة بالمعنى المطلق، لكنهم كانوا طبيعيين (5) يؤمنون بإله واحد، يُدرَك من خلال الانطباع والملاحظة، لا من خلال الوحي.

ولم يكن هدفهم القضاء على الأديان، بل تحرير الإنسان من النماذج الخانقة، ومن الظلامية، وسيطرة الكنائس النصرانية.

وعلى ضوء إصرار التنويريين على حرية الفكر، والتسامح، والعقل، فليس من المدهش أن يعترف دعاة هذا الاتجاه من أمثال ليسنج وفردريك الثاني وجوته – نظريًّا – أن يعترفوا – بغير أن يعنقوا الإسلام – بأفضليته عقلًا على النصرانية القائمة على التثليث والخرافات.

ب. من التنوير إلى العدمية (6)

ومن المؤسف أن الانعتاق من ربقة الكنائس – انعتاق التنوير – خلال القرن التاسع عشر، تحول إلى انعتاق من الدين كله. ولم تعد مقولات الكنائس هي وحدها التي تعد الآن غير منطقية، بل امتد الأمر إلى الإيمان بالله (تبارك وتعالى) وصارت الحاكمية البشرية لا الهيمنة الإلهية هي المقياس النهائي للحكم على الأشياء كلها.

والواقع أن العقل نفسه – الذي صار دينًا – والعلم الذي صار عقيدة غير متسامحة (كما كانت الكنائس من قبل) قد أصبح يمثل الآن وصفة للحقيقة غير قابلة للمدافعة.

ومن خلال قضائه على عقيدة الربوبية (والتخلي عن الإيمان بالله سبحانه) فقد أله الإنسان نفسه، أو ألّه الدولة، كما في الشيوعية أو الفاشية (7).

والشخصيات التي مهدت هذا الطريق هم: لويفنج أندرياس فويرباخ (1804 – 1872م) وكارل ماركس (1818م – 1883م) وتشارلز داروين (1809م – 1882م) وفردريك نيتشه (1844م – 1900م) وسيجموند فرويد (1856 م – 1939م) الذين كانوا الآباء الروحيين لهذه الإخفاقات الكبرى في أوروبا القرن العشرين.

وحين أعلن نيتشه أن الله (عزوجل) قد مات، فإن كل شيء قد صار مباحًا. وفي هذه المرحلة فقط – وعند انعطافة القرن العشرين – فإن سياسة هوبز الفردية اللاأخلاقية تكون قد فرضت نفسها.

ج – خصخصة الدين:

وضد هذا النزوع خاضت الكنائس حربًا خاسرة، ولا تزال. ولسوء حظهم فإن بعض الكنائس البروتستانتية أرادت التغلب على ذلك، وتسوية الأمور بطريقتها، فأخرجت نفسها من الموضوع كله، أو قطعت علاقتها بها.

وعلى هذا فإن معظم البروتستانت في ألمانيا – وفيهم بعض رجال الكهنوت – لم يعودوا يؤمنون بقداسة المسيح، أو عذرية مريم أمه – عليهما السلام – وقداستها.

بل لا يكاد يصدق – لأول وهلة – أن بعض مبشريهم باتوا يقدمون أنفسهم كشواذ جنسيًا، أو كفرةٍ بالحياة بعد الموت.

وعليه فإن الإيمان في الغرب قد صار – بشكل كامل – شيئًا ذاتيًّا انتقائيًّا، أو – بتعبير أوضح – مسألة شخصية.

د – التحررية المدمرة

وبمجرد إقصاء الإله عن عرشه (سبحانه وتعالى) – كمصدر وضامن للقيم الأخلاقية – فإن النسبية الخلقية والانحلال الاجتماعي تفشيا بمعدلات خطرة.

وقد أصبحت التحررية (الليبرالية) – بحق – تدمر نفسها؛ بإطلاق العنان للعواطف الجامحة، دون تقديم أطر أخلاقية كابحة وجديرة بالثقة.

وفي حين يبدو بعض الأشخاص الاستثنائيين قادرين على سلوك مرتضىً في سبيل التحكم الأخلاقي في حياتهم – انطلاقًا من القانون الطبيعي، أو إدراكًا منهم بكرامة الإنسان – فإن جماهير الناس بدوا غير قادرين على الاحتفاظ بمستوىً مقبول من الأخلاقية بعيدًا عن الدين.

وهم غالبًا سعداء بأن يستوفوا حظوظهم من السعادة بطريقتهم الخاصة كما يقول ويليام أوفَلْس.

والحق أن التفسخ الأخلاقي (كما يرمز له بالمحارق الهولوكوست أو أساليب الإبادة الكاملة) هو الذي صار أكثر وضوحًا خلال القرن العشرين، بانهياراته الكلية في ظل الفاشية، والشيوعية، والشوفينية الصربية (8)، والاستغلال الرأسمالي.

وهل كان من المصادفة أن يشهد هذا القرن أشد الحروب على الإطلاق – بما فيها الحروب الكيماوية والذرية – إلى جانب المحاولات المروّعة للإبادة الصناعية لمجموعات من البشر: الفلاحين في روسيا، واليهود، والغجر، والشواذ في ألمانيا النازية، وكذا المسلمون في يوغوسلافيا السابقة؟

وهل كان من المصادفة أنه لا البابا ولا الكنائس ولا مواثيق حقوق الإنسان كانت قادرة على كبح هذا المد التدميري الهائل؟

هـ – التطبيب الذاتي:

يخدع بعض المراقبين أنفسهم في الغرب، باعتقاد أن ما يشهدونه هو – ببساطة – حركة انتقال عادية من مجموعة من القيم والأخلاقيات إلى مجموعة أخرى، في عالم دائم التغير.

وهذه النظرة خطأ من جهتين:

فأولًا هناك قيم دائمة غير موقوتة، وغير قابلة للتغير على الإطلاق، مثل حب المرء لأولاده، والعناية بالوالدين، وعدم قتل الأبرياء، وعدم التعذيب مهما كانت الظروف.

وثانيًا فإن بعض ما يسمى بالقيم الجديدة التي تحتفي بها الأجيال الشابة المعاصرة هي قيم غير مقبولة، ما دامت تصادم هذه القيم الخالدة.

والمثال على ذلك حالة امرأة حامل ترى أن رحِمَها ملك لها (9)، وكذا منح الرخص للقتل، ويصدق على هذا ما يدعى (حق الخوف) أي عدم المخاطرة بشيء شخصي لأجل عيون المجتمع، وما يدعى (حق التسميم) الذي أعلن عنه أعضاء أحزاب الخضر (البيئة) ليبرر بعض الناس أسلوب التدمير الذاتي؛ باستباحة استخدام المواد السامة، بشكل سيئ.

إن المجتمع الغربي – من سان فرانسيسكو إلى برلين – يمكن تحديد أبرز ملامحه بالآتي:

1. الانكسار المشؤوم في نظام الأسرة (المعدلات المربكة للطلاق – الأمهات الوحيدات – المهجورات – الأطفال الذين يعيشون دون والدين؛ أي المهجورين أيضًا) مما ينذر بانهيار كلي للمجتمع بأسره.. وهذا مشفوع بـ:

2. إساءة معاملة الأطفال، والدعارة، والممارسات الجنسية غير القانونية والمنحرفة، والعنف الطلابي، وارتفاع معدلات جرائم الأحداث الجانحين.

3. إساءة استخدام المخدرات، التي انتشرت إلى حدٍّ صار معه العالم الغربي مدمنًا في مجموعة (كحوليات – سجائر – ماريجوانا – كوكايين – هيروين – عقاقير هلوسة – سبيد – النشوة...إلخ).

والإدمان الذي يعانيه الغربيون ليس إدمانًا كيماويًّا دائمًا، فالتلفزيون والإنترنت أيضًا ربما صارا إدمانًا.

4. الفردية المفرطة.. وقد صارت تلك أيضًا مرضًا معديًا ساريًا، فالغربي يعيش الآن في مدن عالمية إلكترونية هائلة ومشبعة بالتكنولوجيا، يعيش كمخلوق منعزل وحيد، وينحني بخوف أمام شاشة كمبيوتره الشخصي، في عالم افتراضي أكثر منه واقعيًّا،

وربما اندمج في إشباع رغباته الجنسية، عبر مكالمات الهاتف، ومواد الكمبيوتر الجنسية.

و – صبغ المجتمع بصبغة اقتصادية:

ويعزو الخبراء الغربيون هذه الظاهرة – بشكل رئيس – لتأثيرات الاقتصاد الرأسمالي، الذي يُشيّئ الإنسان، أو يجعله ذريعة بحسب مطالب الصناعة: الكفاية، تفعيل الناتج، السعي للوصول إلى الحد الأقصى للفائدة، تسريع الإنتاج..إلخ.

وهم كذلك يشخّصون – في سياق التعرف على أمراضهم الكبيرة – أن المجتمع الغربي يخسر تماسكه، وأن العلاقات الإنسانية تصبح الآن أشدّ برودة منها قبل مدة وجيزة.

والحق أننا نرى أنه بدلًا من التبشير أو الدعوة إلى رد أمريكا إلى الطبيعة، فإننا نشعر بالحاجة إلى إنعاش طريقة الحياة الأمريكية. وإذا كان ما يدخل في الاعتبار عادة هو قيمة ما يحمله الإنسان من الأسهم، فإن أثمن ما نملكه في المجاعة الزمنية التي نعيشها هو: الوقت.

رابعًا: ما الذي ينبغي أن يقدمه الإسلام؟

1 – نشر السمو الروحي بين عامة الناس

إن ما وصفته – بأمانة ونزاهة – يعني أن الغرب يعيش في أزمة: أزمة ثقافية آنية، رغم كل المنجزات الغربية في مجالات الديمقراطية وحقوق الإنسان والتكنولوجيا.

أزمة سوف تنتهي إلى السقوط الغربي السريع بعد فترة وجيزة من سقوط منافسه الكوني، العالم الشيوعي الذي انسحق حوالي عام 1990م.

واليوم فإن القضية ليست قضية البروليتاريا الاقتصادية القديمة التي أسسها كارل ماركس هي التي تهدد الغرب.. إن الذي يتهدده اليوم هو الدعوات الروحية (كما يقول والتر ليهمان) التي فرّختها مائتا سنة من الحداثة.

2 – نحو أنموذج ديني:

ذكرنا أن الأزمة الخلقية في الغرب تمتد جذورها إلى تطورات عمرها مائتا سنة؛ لذا فإن نقدًا جذريًّا – كما يتضح – لعقلانية الحداثة هو الأمر الأشد أهمية. ولو أن تحريرًا حقيقيًا من وهم الحداثة قد نجح فإن الرجل الغربي قد يتمكن من تغيير طريقته في التفكير.

ولإنقاذ الغرب من تدمير نفسه ثقافيًا عن طريق تسميم ذاته، فإن الأمر يتطلب إعادة تأسيس روابط شديدة الفاعلية من خلال إعادة تقديم مفاهيم الألوهية والمقدس، وإعادة الاعتبار للدين كرد فعل معقول للحالة الإنسانية **conditio humana** مع عدم الاعتداد المطلق بالعالم الوضعي (10) لكونه تنقصه الأسس العلمية الخالصة.

وبعبارة أخرى: فإن المطلوب هو أنموذج ديني جديد لتفسير العالم (للنظر إلى العالم).

وشكرًا للإسلام الذي أنا مقتنع تمامًا أنه من خلاله يمكن – بمشيئة الله تعالى – أن يقدم ذلك.

أ – الدين التلفيقي لن يقدم شيئًا

أنا لا أنكر – نظريًا – أن الإيمان النصراني يمكن أن ينقذ الغرب من مزيد من الانحدار نحو الكارثة.

لكنني لا أعتقد أن النصرانية يمكنها فعل ذلك – عمليًّا – لأن هذه العقيدة قد فقدت الكثير جدًّا من مصداقيتها في الغرب، ولأنها لا تبدي الحيوية الضرورية لتغيير اتجاه المسيرة.

وأنا – في الوقت نفسه – مقتنع أنه ليس ثمّ نظام مطلق للتفكير يمكنه أن يحقق قوة أخلاقية في الجسد الغربي، لا البوذية ولا الليبرالية (التحررية) المستنيرة، المنبنية على القانون الطبيعي.

وإن الاختيارات الأخلاقية تتطلب دوافع أخلاقية، لقوة لا يستطيع أن يوفرها إلا دين حي، وشكرًا لله تعالى أن هذه الدوافع مغروسة بعمق في صميم كل فرد وفطرته، فأما الأديان الإسبرانتو – الزائفة أو التلفيقية (11) فهي أعجز من أن تحقق هذا.

ب – الإسلام قادر على التغيير

أعتقد أن الإسلام يمكنه أن يقدم كل ما يحتاجه أمر إنقاذ الغرب، بالرغم من عوامل النقص التي يعانيها العالم الإسلامي من المعوقات والرذائل: كالأمية، والفقر، والفساد، والظلم الاجتماعي، والتعذيب، والبلادة، وزرع الفتن، وقلة التحمل، والانفراد بالسلطة، والتمييز ضد النساء، والمادية المتزايدة.

إن الإسلام قادر على إنقاذ الغرب، بالرغم من العيوب المنتشرة بين المسلمين، وسيأتي مزيد من التحليل التفصيلي لذلك.

3 – تهدئة أمريكا:

في أوائل السبعينيات حلم الوجوديون الأمريكان من جيل (تانجلوود) الضائع، وجيل (أبناء الورد) (12) حلموا بإعادة أمريكا إلى الطبيعة، وبدلًا من ذلك فإننا نشهد خمودها وسقوطها.

والحق أن درجة الحرارة الاجتماعية في الغرب كله تهبط بشدة، وبشكل أكثر وضوحًا مع جيل الكمبيوتر.

وحيثما ينظر الإنسان فإنه يجد تناقضًا صارخًا بين مطلب السيد المسيح عليه السلام (أحب جارك كما تحب نفسك) وبين ما يلحظه المرء من منافسة لا ترحم، حيث الناس منشغلون (كالشرانق الاجتماعية) بسعادتهم الصغيرة الخاصة.

أ – بث دفء العلاقات في أمريكا:

إن المسلمين – على كل حال – يلقون الإعجاب لحسن تعايشهم الاجتماعي. ودفء لقاءاتهم يُلحظ في كل مكان، حيث يعانق الأخ أخاه حين يلقاه، ويلحظ الغربيون – بشيء من عدم التصديق – كيف استطاعت الاتحادات الإسلامية أن تبني مراكز إسلامية بجهود أعضائها فقط، حيث يتطوع عمال البناء بالعمل أثناء العطلات.

وثانية أقول: كم من باحث عن دين يجد طريقه إلى الإسلام بسبب ما يلحظه من الود الشديد بين المسلمين. لقد نزعوا عن الدين خصوصيته الكنسية (13) وهذا يعجب الشبان كثيرا.

ب – التماسك العرقي:

ليس في أمريكا وإسرائيل وحدهما يعاني الغرباء بشكل واسع من الإجحاف العرقي؛ فالمهاجرون المسلمون صاروا يعانون – أكثر من ذي قبل – من تمييز عرقي وديني، يمكن أن يشبه حالة التدقيق الأمني في المطارات؛ حيث تؤخذ المعلومات، ويدقق في حالة كل راكب.

ولسنا نزعم أن الإسلام استطاع استئصال التمييز العرقي كليةً؛ لكننا نعلن مع (جيفري لانج) أنه لم يستطع دين – كما استطاع الإسلام – أن يقارع هذا الشر.

والحق أن استمرار وجود مساجد السود في الولايات المتحدة يرجع أكثر ما يرجع إلى موقع المسجد، لا إلى نوع من الفصل العنصري في الإسلام.

ولكونهم حساسين من هذه المقولة فإن البريطانيين والفرنسيين والألمان الذين اعتنقوا الإسلام استمروا في مقاومة الإغراء بإنشاء اتحادات قائمة على أسس عرقية؛ لكنهم – بدلًا من ذلك – أنشؤوا اتحادات إسلامية في كل من بريطانيا وفرنسا وألمانيا، ونظموا لقاءات للمسلمين المتحدثين بالإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية.

وكثيرون قد اعتنقوا الإسلام من أول وهلة، بسبب عدم اعتبار (العرق) في المجتمع المحلي.

ج – المؤمنون الأحرار:

يتصرف كثير من الشبان الغربيين – غالبًا – بحساسية نحو السلطة القائمة على النفوذ الكهنوتي.. وإن مما يلفت انتباههم للإسلام كونه يجتنب الأشكال النمطية المشابهة للكنائس في مؤسساته.

والحق أنه لا شيء من الأفعال العبادية التي فرض على المسلم أن يأتي بها يستلزم تعاون أوحضور مسلم آخر.

وأي مراهق مؤهل لقراءة القرآن الكريم (أي بالغ غير جنب) يمكنه تلقائيًا أن يكون إمامًا في الصلاة.. كما أن كل مسلم يمكنه أن يختار مذهبه، والفتوى ليست ملزمة إلا بذاتها، وخادم الحرمين الشريفين في مكة والمدينة ليس (بابا) والزواج في الإسلام بلا أسرار مقدسة.

وينفي المسلمين إمكانية الحاجة لشريك ثالث (وساطة بينهم وبين الله تعالى على الطريقة النصرانية) فإنهم يبدون أشد المؤمنين حرية، الذين يمكن للمرء أن يتخيلهم، فلا شيء يضغط عليهم: لا قسيس، ولا طقوس مقدسة يمكن أن تتدخل في العلاقة بين المسلم وخالقه سبحانه.

وبمجرد إدراك الشبان الغربيين لهذه الفكرة فإنهم يقعون في إسارها إعجابًا وانبهارًا.

د – اللاعقلانية الدينية

لا يدلل الغرب شيئًا أكثر مما يدلل العقل، فهو يصنف نفسه مملكةً للعقل. وإن فيلسوفهم الأعلى – الذي لا أحد فوقه عندهم، عمانويل كانت – قد علمهم أن وجود الله – تعالى – لا يمكن إثباته بالعقل المجرد، أو بالاستنتاج العقلي المبني على الحدس البشري.

لكنّ (كانت) توصل إلى أن الجنس البشري لا يمكن أن يواصل مسيرته، دون افتراض وجود الإله (سبحانه) كنوع من التفكير، أو الاستنتاج العملي.

ومما يدعو للسخرية أن كثيرًا من الناس في الغرب الآن يتصرفون كما لو كان (كانت) قد أثبت غياب الإله (سبحانه وتعالى) وكما لو كان العلم المادي المبني فقط على الإدراك الحسي علمًا معصومًا لا يخطئ!!

هـ – العقلانية الدينية:

ومهما كان الأمر فإن أولئك الوضعيين يمكن إقناعهم بأن مفاتيح هذه الفرضيات النصرانية، مثل الخطيئة الموروثة، والتجسد الإلهي للمسيح (عليه السلام) واحتمال آلام الصلب تكفيرًا عن خطايا البشر والتثليث، هي – في أحسن الأحوال – أساطير، وهذا من عمق عقلانية الإسلام الفذة في عقيدته بالوحدانية الخالصة لله تعالى، وبأحديته المقبولة منطقيًّاً.

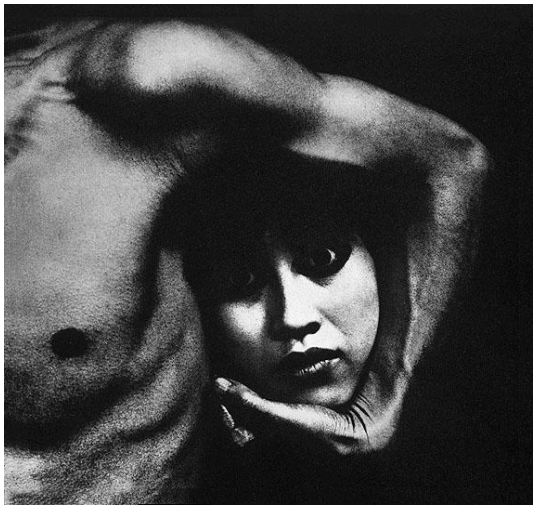

إنهم عند هذه النقطة سينبهرون بالعقيدة، التي ترى أن من التطرف – طبقًا للمفاهيم الكيميائية والفيزيائية والبيولوجية – القول بأن الله تعالى غير موجود. وقد يتحققون من أن هذا العلم، الذي يُقدّم كأيديولوجية، قد أسس على أسس تجريبية (أمبريقية).

ومن هذا المنطلق الذي يصف الدين باللا معقولية، فإن بعض الناس سيقدِّرون الإسلام أكثر الأديان عقلانية؛ لأنه دين الناس الذين يلاحظون ويفكرون ويتأثرون.. الحق الذي يمكن أن ينافس الحداثة في بحثها عن العقلانية الأنطولوجية (14) .

و – التوازن البنيوي:

ليس إفراطًا في التشاؤم أن نقول إن الإدمان – بما فيه إدمان الكحول والنيكوتين – قد وصل إلى معدلات مدمرة في الغرب.. فالمخدرات في كل مكان: من المدارس العليا (الثانوية) إلى قطارات الأنفاق، وبعض أحياء المدن في الولايات المتحدة تكتظ بالمخدرات، لدرجة تجعل رجال الشرطة يهزون أيديهم في يأس.

وفي هذه الحالة فإن المسلمين الطيبين – لكونهم معتدلين بحكم التوازن العقيدي – هم الأمل الوحيد الباقي للقضاء على المخدرات.

والحق أن آباء المدينة (كبار المسؤولين) في العديد من المدن الأمريكية الكبرى باتوا يسلمون مقاليد مسألة مواجهة المخدرات للمؤسسات الإسلامية، بعد أن أثبت أصحاب هذه المؤسسات أنهم – وحدهم – القادرون على محاربة المخدرات بشكل سلمي وفعّال.. وهي مسألة بدأت داخل جدران السجون.

ومن ناحية أخرى فإن التدخين قد أصبح بسرعة شيئًا غير أمريكي هذه الأيام، وأصبح – من وجهة النظر السياسية – أمرًا خطأ، ألا يعتبر عمل المسلمين الذين يندر بينهم التدخين – إن لم ينعدم – شيئًا بطوليًا في هذه الظروف؟!

ز – أضواء على الأسرة

يثور المراقبون الغربيون المنتبهون عندما يفكرون فيما يمكن أن يحدث للمجتمع حينما يشب معظم الصغار – بسبب الانهيار الأسري – في أسر وحيدة العائل.. إنهم يخشون ظهور جيل مريض.

وعلى هذا الأساس فإن المسلمين – الذين يضعون الأسرة على رأس المؤسسات الاجتماعية – هم حملة رسالة لكل المهتمين، مفادها أن خراب الحضارات يبدأ وينتهي عند العائلة.

ح – الاختيار الحياتي:

إن معظم المحافظين في أوروبا وأمريكا قلقون كثيرًا بسبب حقيقة أن الإجهاض قد صار قانونيًا في كل مكان. ففي ألمانيا يدافع حتى القساوسة الكاثوليك عن قراراتهم التنفيذية التي تجيز الإجهاض. ويقدم الإسلام – الذي يعد الإجهاض محظورًا، ما لم تكن حياة الأم معرضة لخطر حالّ وبيّن – يقدم حلًّا أخلاقيًّا لهذا الأمر. ألا يكون هذا مبشرًا بالنسبة للمحافظين الغربيين لأن يدخلوا في تحالف مع الإسلام، بدلًا من أن يفجّروا عيادات الإجهاض؟!

ط – لا المتطهرون ولا الإباحيون:

ومنذ بطرس وبولس (الرسولين) وأوجستين، والبندول يتأرجح يمينًا وشمالًا، بين روح التطهر التي تتلبس بعض النساء (لعلها) الرهبنة أو الإمعان في الأصولية، وبين الاستغراق الجامح في الأعمال الجنسية، وبلا حدود، وبلا مقدسات.

ولقد أفلح الإسلام في مزج النشاط الجنسي بالعبادة في الحياة اليومية للمسلمين، وبدون تشويه للمرأة ولا الزواج، ولكن – أيضًا – دون إضفاء قداسة على الزواج (لعله يقصد التأبيد والديمومة).

وهذا الفهم المتزن الذي يراعي فطرة الإنسان، ويساعد على إيضاح كيف أن الرهبنة، وعملية حرق الساحرات بقيتا ظاهرتين نصرانيتين. هذا الفهم – وفي هذه المنطقة شديدة الحيوية نجد الإسلام –كدين وسطي يمقت كل أشكال التطرف – يمكنه إحداث فروق كبيرة داخل المجتمع الغربي.

ي – تحرير المسلمة:

لا تفتش المرأة الغربية – من خلال تحررها – فقط عن العدالة الاجتماعية، وتحقيق الذات، بل تطمح إلى إنهاء استغلالها، وتوظيفها كمادَّة جنسية.

وبإعطاء الدعارة الاحترافية، والجنس غير المتحفظ، دعاية تجارية وعلنية غير متحفظة سيبدو واضحًا في الغرب كيف أن المرأة المسلمة – في أثناء بحثها عن نفس الحقوق التي تريدها أختها الغربية،كانت أكثر توفيقًا في الدفاع عن كرامتها؛ من خلال التقيد بالعادات، وبأحكام الشريعة.

ك – مواجهة الشذوذ الجنسي

لا يكاد أحد يشك في أن الشذوذ المتفشي هو دلالة صارخة على الانحطاط الثقافي. وهو – بهذا – إنذار مبكر لحضارة على وشك الانهيار.

ومع أنهم في الغرب يعتبرون اللوطيين والسحاقيات منحرفين فإن سلوكهم يعد – كذلك – من الاختيارات المقبولة، التي تصلح اختيارًا حياتيًا لهم. وهؤلاء الشواذ ينشرون اختيارهم الشاذ هذا بشكل ملحّ، طالبين الاعتراف بهم كأقلية ينبغي أن تتم حمايتها، مثل النساء والسود.

وفي سان فرانسيسكو أصبح حيّان كبيران من أحياء المدينة مكانين كاملين مكرّسين للشواذ.

وفي أوروبا صار الأزواج من الشاذين على وشك الحصول علحق التزوج، ليستمتعوا – قانونيًّا – بكل الحقوق العادية – المترتبة على عقد الزوجية!

وعلى هذا الأساس فإن الأغلبية السوية (غير الشاذة) قد بدأت تشعر بأنها تُدفع إلى معركة، وتخاف على مؤسسة الزواج.

إن عليهم التأكد من أن الإسلام – في هذا الأمر أيضًا – يسلك مسلكًا وسطيًا معقولًا، فهو يظهر عطفه على الذين يظهر أنهم ولدوا شواذّ (15) في حين أنه يرفض تشجيع الزواج من نفس الجنس، كنظام بديل في الحياة. ولسنا في حاجة إلى القول بأن تطبيق الإسلام بشكل صحيح هو أيضًا حلّ أو إجابة عن الأخطار القاتلة المرتبطة بالإيدز.

ل – الحذر من زيادة الوزن:

والرجل الغربي شديد الحذر، وشديد الخوف من ارتفاع معدلات الكوليسترول، وهو دائم البحث عن أنظمة غذائية صحية جديدة، ومعجزات للشفاء من السمنة.. ألا يجدر بهؤلاء الناس أن يقدروا الإسلام حق قدره؛ لأنه الدين المعقول الذي اكتشف لنا أحكام رمضان؟!

م – إدارة التوترات والإجهاد:

والإنسان الغربي مجهَد بشكل مفزع، حتى الأطفال في المدارس، وحتى المتنزهون أيام العطلات متوترون مجهدون.

وهم دائمو التردد على الأطباء النفسيين، للتغلب على مشكلات الحياة. وقد صارت أساليب التأمل الاستغراقي، الباحث عن الاستعلاء النفسي – كاليوجا، وحفلات الشاي اليابانية – صارت من الآليات التي يتعامل معها الأشخاص المجهدون.

ومثل هؤلاء الناس سوف يجدون الإجابات عن أسئلتهم كلها باختيارهم تكنيكًا إسلاميًّا للتأمل الدائم المنتظم (مثل الصلاة، والتأمل العقلي المواكب لها): إن الإسلام تسليم لله تعالى، والتقوى ربط للضمير به عزّ وجل.

ن – تفعيل الرأسمالية:

إن الاقتصاد الغربي ومنذ ظهور الرأسمالية والاشتراكية – ظل يتردد بين ذينك النظامين.

أما في الإسلام فقد وضع القرآن الكريم نظامه الاقتصادي الذي يعلي الملكية الخاصة؛ لذا فإن الناس محميون من السقوط في وهدة الاقتصاد الجماعي (16). كما أنهم – أيضًا – في الإسلام يعادون الاستثمار الرأسمالي؛ بالإصرار على تحقيق العدالة الاجتماعية تحت أي ظرف من الظروف..

كما أنهم يصرون – إضافة لذلك – على استخدام رأس المال بشكل محدد، على أساس المشاركة في الربح والخسارة، وبدون ربا. وهم – بذلك – يحمون التزامهم الروحي، الذي بنيت عليه حيويتهم الرأسمالية، والذي بدونه سيصبح الاقتصاد مشبعًا وراكدًا.

4– الكمية مقابل الكيفية:

ويمكن للمسلمين – في الجملة – أن يشيروا لشركائهم الغربيين بأن أكثر الفروق الجوهرية بين عالَميْهم، هو اتجاههم المختلف، في النظرة إلى الكمية والكيفية.

فالغربي عادة يعلي المفاهيم الكمية، لدرجة أنه لا يكاد شيء أن يكون (نقودًا) حقيقية. وأما القيم فلا يمكن تحجيمها (أي جعلها شيئًا كميًّا) رقميًّا مثلًا. والحقيقة أن هناك إنكارًا عامًّا للقيم غير القابلة للتحجيم، وكذا للقيم الروحية الخالصة.

ومن هنا فإن حياة الرجل الغربي مبنية على الامتلاك، في حين أن حياة المسلم مكرسة لأن تكون (شيئًا ذا بال).

ولأن الشرق – بما فيه العالم الإسلامي – متأثر بهذا الاتجاه، فهو المنطقة التي تُعلى فيها المفاهيم الحياتية المعنية بالكيف على المفاهيم المعنية بالكمّ. وللحق فإن (كيفية) الحياة، مفهوم إسلامي ينبغي أن يدق أجراسًا كثيرة.

5– الإسلام هو الإجابة:

في الفصل السابق دونّا قائمة بأربعة عشر علاجًا مختلفة يقدمها الإسلام للغرب.

وتقديم إسلام من هذا الطراز – إجابة لكثير من الأوجاع والأمراض التي أفرزتها الحضارة الغربية – هو الاستراتيجية المثلى للدعوة لدين الله تعالى:

أ– الاعتراف بالمرض:

بديهي أنه لتحقيق الشفاء، فإن على المريض أن يعترف أولًا بمرضه، لكن وأسفاه: فبرغم التحليلات الألمعية – كالتي قدمها دانيال بل، وويليتك أوفلس – فإن القليل من الغربيين متنبهون إلى خطورة أزمتهم الحضارية، والأكثرون ضحايا للانتصار

المعمي. ولهذا فإن الظاهر أن الناس – بدلًا من تغيير الاتجاه في منتصف الطريق – يفضلون المضي قدمًا فيما هم عليه من أخطاء وخطايا.

ب – تعاطي الدواء:

ولا يكفي الرجل المريض أن يعترف بكونه مريضًا ليشفى، بل إن عليه أن يتعاطى الدواء الموضوع على طاولته. لكن جزءًا من المشكلة التي تواجه العالم الغربي – للأسف – هي بالضبط عجزه عن اتباع بصيرته؛ لكي ينجز ما هو صواب.

إن الغرب مذبذب بين الفعل وعدم الفعل، في مواجهة فظائع الصرب في البوسنة والجبل الأسود وكوسوفا.

وهذا أيضًا نتيجة للانحطاط الخلقي السائد الذي يفسر هذا الموقف.. وكما قال رومان هيرتزوج – رئيس ألمانيا الاتحادية فيما بين 94 – 1999م وهو كلام جدير بأن نقف أمامه: إن مشكلتنا ليست تأملية، لكنها مشكلة متعلقة بالتطبيق.

ج – علامات على الجدار:

يحكي القرآن الكريم عن أمم كثيرة ماضية، فشلت في قراءة العلامات على جدرانها (الموجودة حولها) ورفضت كل التحذيرات الإلهية، حتى انهارت حضاراتها بطرق مأساوية.

وأعتقد أنه لكي يطمئن الغرب فإن عليه – أيضًا – ألا يحشد شجاعته في مواجهة الإصلاحات الأصولية الضرورية.

ولو فشل الغرب هذا – بعد الانتصار على الشيوعية – فسيبدو أنه في طريقه لإغراق نفسه في دمار ذاتي عربيد. وسيقع ضحية لتناقضاته الداخلية الذاتية – ومعظمها مدمر – وعلى رأسها الشرك بالله تعالى وتأليه الإنسان.

وهذا سيقع حتمًا ما لم يعد الغرب الاعتراف بالمقدسات، والحقائق العليا، والإله الموجود – سبحانه – ويبدأ – فوق ما مر – في العيش طبقًا للقيم المطلقة، والأخلاق الإلهية التي أنزلت على البشر من خلال القرآن الكريم، والتي أكدتها سنة آخر رسل الله، صلى الله عليه وسلم.

(1) هذا الخلط كثير جدًا للأسف في مناهج علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا بين البشري والمقدس.. (المترجم).

(2) يعد نورمان دانيال الباحث الرئيس في أصول الصورة التاريخية النمطية المعادية والمتحيزة ضد الإسلام.

(3) المؤسسة الملكية في بريطانيا.

(4) في قوله تعالى: (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق، مصدقًا لما بين يديه من الكتاب، ومهيمنًا عليه، فاحكم بينهم بما أنزل الله، ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق، لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة، ولكن ليبلوكم في ما آتاكم، فاستبقوا الخيرات، إلى الله مرجعكم جميعًا، فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون).

(5) الربوبيون أو الطبيعيون DEISTS طائفة تذهب إلى الإيمان بالله تعالى بغير أديان منزلة، وتدعو إلى الإيمان بدين طبيعي مبني على العقل لا الوحي، ويؤكد على المناقبية أو الأخلاقية، مع إنكار تدخل الخالق سبحانه في نواميس الكون. وقد ظهروا في القرن الثامن عشر (المترجم).

(6) العدمية NIHILISM مذهب يرى أن القيم والمعتقدات التقليدية لا أساس لها من الصحة، وأن الوجود لا معنله، ولا غناء فيه، وهي– كذلك – مذهب يرى أن الأحوال في المجتمعات المعاصرة قد بلغت من السوء مدىً يجعل الهدم مرغوبًا فيه لذاته، دون تفكير في البناء.. (المترجم).

(7) الفاشية حركة أو فلسفة سياسية تمجّد الدولة والعرق، وتدعو إلى إقامة حكم أوتوقراطي مركزي، على رأسه دكتاتور، وإلى السيطرة على كل شكل من أشكال النشاط القومي (المترجم).

(8) الشوفينية: الغلو في الوطنية إلى حدود شديدة التطرف ((المترجم)

(9) لتفعل ما شاءت: فتفجُر، أو تجهض نفسها، أو تؤجر رحمها، أو تحوله، أو تستأصله، كما نقرأ في الطروحات الغربية الكثيرة.. (المترجم)

(10) الوضعية: فلسفة أوغست كونت التي تُعنى بالظواهر والوقائع اليقينية فحسب مهملة كل تفكير تجريدي في الأسباب المطلقة. (المترجم)

(11) التعبير هنا بكلمة إسبرانتو يفيد التلفيق والتزييف، والإسبرانتو لغة دولية مبتكرة، بنيت على أساس التلفيق والجمع بين الكلمات المشتركة في اللغات الأوروبية الرئيسة.. (المترجم).

(12) يبدو لي أن جيل تانجلوود وأبناء الورد من الهيبيز الضائعين الذين ظهروا بعد حرب فيتنام وكذا في السبعينيات، في مقابل أجيال الحرب، وكانوا ينادون – تحت شعار العودة للطبيعة – بالحرية المطلقة، والتمرد على الضوابط الدينية والخلقية (المترجم).

(13) أي جعلوه سلوكًا عامًا بعيدًا عن عقد الكهنوت. (المترجم)

(14)الأنطولوجيا Ontology أو علم الوجود: نظرية تبحث في طبيعة الوجود. (المترجم).

(15) لست أدري من أين له هذا الفهم.. (المترجم).

(16) الجماعية في الاقتصاد مذهب اشتراكي يقول بسيطرة الدولة – أو الشعب ككل – على جميع وسائل الانتاج والنشاطات الاقتصادية.. (المترجم).

لقائي مع المفكر الكبير الدكتور مراد هوفمان

الفهرس

مقدمة	3
السلفية الملطشة	4
حاشية ا، 2، 3	29 – 27
أفكار غير سلفية	33
نماذج شائنة	36
السلفية الافتراضية: السايبر	40
إطلالة على نماذج من الفجور الفني	50
حرام عليكم يا إسلاميون	56
النخبة الأليطة	79
الغزو المصطلحي	94
أزمة الغرب: الإسلام هو الحل	113

من أعمال المؤلف:

العقيدة:

1. الألوهية في العقائد الشعبية على ضوء الكتاب والسنة
2. كتاب المحجوبين عن رؤية رب العالمين
3. في ظل عرش الرحمن تبارك وتعالى
4. النعيم المعنوي في الآخرة

دعوة وإعلام:

5. مواجع داعية
6. قراءة في السلفية المعاصرة
7. الإعلام الإسلامي في مواجهة الغزو الإعلامي الغربي
8. التلفزيون: السم اللذيذ
9. مواصفات في مدرِّسة الشرعية
10. خطيب الجمعة

فقه الواقع:

11. في فقه الواقع: رسائل إلى الإسلاميين
12. لله يا زمري
13. الثورة والثورجية
14. إسلاميون ثوار
15. الحاج أستيكة

الأسرة:

16. ماذا يريدون من المرأة؟
17. تفكيك الأسرة: الخطر القادم
18. العنف الأسري: رؤية إسلامية
19. المسنون في منظور الإسلام
20. تجفيف منابع الأنوثة
21. الغيرة: خلق المسلم النبيل
22. العفة وأهل العفاف
23. نساء عديمات الأنوثة

24. حكايات الستات
25. وقال نسوة

فكر وثقافة:

26. العقلانية هداية أم غواية
27. وهل في الإسلام حرية للرأي
28. Freedom of Opinion
29. اليسار الإسلامي: خنجر في ظهر الإسلام
30. التعذيب: عار العصر (مجموعة ملفات)

دراسات إسلامية:

31. التبيان ... تحقيق
32. فقه الأذان والإقامة
33. ملفات ملغومة
34. وأدرك عبسلام الصباح
35. لله يا زمري/ مواجع داعية
36. في المراية
37. المقامات
38.

تاريخ:

39. الأندلسي
40. قال الراوي
41. المسجد الأقصى الشريف
42. زفتى التي في خاطري
43. تاريخ المستعين بالله البسيوني

سير وتراجم:

44. محمد صلى الله عليه وسلم في أعمال اثنين من المستشرقين
45. دعاة ومشاهير عرفتهم
46. مشايخ لكن ظرفاء
47. رجال نمرة واحد

48. رجال اختلف فيهم الرأي

كتابات ساخرة:

49. رجل اسمه نرجس
50. علي وعلى قرائي
51. حقك وفوقه بوسة
52. ناس نمرة واحد
53. نساء عديمات الأنوثة
54. طمع إبليس في الجنة
55. رجال آخر مسخرة

الشعر، والدراسات الأدبية:

56. ديوان صلاة قلب
57. ديوان: عذرًا يا سيد خلق الله
58. ديوان مراميات
59. الذئبة التائبة (ديوان شعر)
60. يا سادتي (ديوان شعر)
61. زهرة (ديوان شعر)
62. القرضاوي شاعرًا
63. أبو مازن: الصوت الساحر
64. الشعراء
65. الشواعر

مسرحيات شعرية:

66. الأعظم (مسرحية شعرية)
67. القرضاوي شهيدًا (مسرحية شعرية)
68. الحراني (مسرحية شعرية)
69. الحرباء (مسرحية شعرية)
70. ليلى حلمي (مونودراما شعرية عامية)
71. أحمد يا سين (ملحمة شعرية عامية)
72. المسرحية الجديدة

كتب مصورة:

73. التماثيل الشعبية الأوربية: رؤية مختلفة للإنسان
74. الرسول صلى الله عليه وسلم في الرسوم والمنحوتات الأوربية عبر التاريخ
75. التعذيب: عار الحضارة المعاصرة
76. الله تعالى في ثقافات الشعوب (باور بوينت)
77. فن الخط العربي: (باور بوينت)
78. الخطوط العربية والفنون المنبثقة عنها: (باور بوينت)

كتب تعليمية:

79. أيها المهتدي أحبك في الله
80. الحج من الألف للياء
81. العقيدة
82. الأخلاق....
83. منهج الشرعية، للصف الأول الإعدادي: الدحيل الإعدادية

تحت الإعداد:

84. يا دوحة رايتك بيضا
85. أيام المدينة الطيبة
86. المعجم القرآني الأكبر
87. القلب: دراسة شرعية
88. محمد صلى الله عليه وسلم: رؤية قرآنية
89. العقائد المصورة
90. الحياء
91. حبيب قلبي